

للشاعر

(١) شعر

قصائد أولى ، ط ١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٥٧ ؛
ط ٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط ٤ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

أوراق في الريح ، ط ١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٥٨ ؛
ط ٢ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٣ ؛
ط ٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط ٤ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

أغاني مهيار الدمشقي ، ط ١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦١ ؛
ط ٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط ٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل ،
ط ١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٦٥ ؛
ط ٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

المسرح والمرايا ، ط ١ ، دار الآداب ، بيروت ،
طبعة جديدة ، دار الآداب ،

وقت بين الرماد والورد ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٠ .

هذا هو اسمي ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٠ .

مفرد بصيغة الجمع ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٧ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

كتاب القصائد الخمس ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ .
كتاب الحصار ، دار الآداب ، بيروت ١٩٨٥ .
شهوة تتقدم في خرائط المادة ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧ .
احتفاءً بالأشياء الغامضة الواضحة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .
أبجدية ثانية ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ١٩٩٤ .
الكتاب I ، دار الساقى ، بيروت ، ١٩٩٥ .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة

ديوان أدونيس ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
ط ٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٥ ؛
ط ٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

الأعمال الشعرية الكاملة ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٥ ؛
ط ٥ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٨ .

(٣) دراسات

مقدمة للشعر العربي ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
ط ٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٦ .
زمن الشعر ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٢ ؛
ط ٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩ .

الثابت والمتحول ، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب :
الطبعة السابعة (طبعة جديدة ، مزيّدة ومنقّحة ، في أربعة أجزاء) :

١- الأصول ،

٢- تأصيل الأصول ،

٣- صدمة الحداثة وسلطة الموروث الديني ،

٤- صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري ،

(دار الساقى ، ١٩٩٤) .

فاتحة لنهايات القرن ، الطبعة الأولى ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٠ .

سياسة الشعر ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٥ .

الشعرية العربية ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٥ .

كلام البدايات ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٠ .

الصوفية والسوريالية ، دار الساقى ، بيروت ، ١٩٩٢ .

النص القرآني وأفاق الكتابة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .

النظام والكلام ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .

ها أنت أيها الوقت ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .

(سيرة شعرية ثقافية) .

(٤) مختارات

مختارات من شعر يوسف الخال ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٢ .

ديوان الشعر العربي :

الكتاب الأول ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤ .

الكتاب الثاني ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤ .

الكتاب الثالث ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٨ .

مختارات من شعر السياب ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٧ .

مختارات من شعر شوقي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

مختارات من شعر الرصافي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

مختارات من الكواكبي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

- مختارات من محمد عبده (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
مختارات من محمد رشيد رضا (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
مختارات من شعر الزهاوي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
مختارات من الإمام محمد بن عبد الوهاب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
(الكتب الستة الأخيرة ، وضعت بالتعاون مع خالدة سعيد)

٥) ترجمات

مسرح جورج شحادة

- حكاية فاسكو ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٢ .
السيد بوبل ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٢ .
مهاجر بريسبان ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٣ .
البنفسج ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٣ .
السفر ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٥ .
سهرة الأمثال ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٥ .

الأعمال الشعرية الكاملة لسان جون بيرس ،

- منارات ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٦ .
منفى ، وقصائد أخرى ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٨ .

مسرح راسين

- فيدر ومأساة طيبة أو الشقيقان العدوان ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٩ .

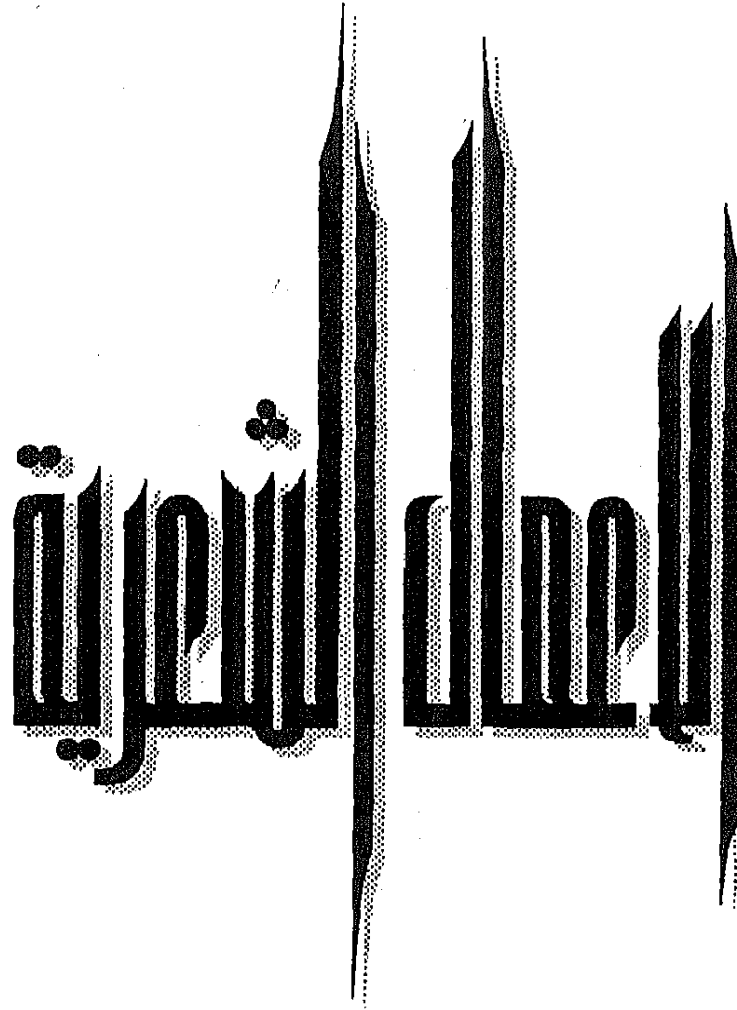
الأعمال الشعرية الكاملة لإيف بونفوا ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨٦ .



أغاني مهيار الدمشقي

وقصائد أخرى

أدونيس



أغاني مهيار الدمشقي

وقصائد أخرى

منشورات



Author: ADONIS

Title : The Poetical Works, I

Al Mada : Publishing Company

First Published in 1996

Copyright © Al mada

اسم المؤلف : أدونيس

عنوان الكتاب : الأعمال الشعرية/أغاني

مهار الدمشقي وقصائد أخرى

الناشر : دار المدى للثقافة والنشر

تاريخ الطبع : ١٩٩٦

الحقوق محفوظة

دار المدى للثقافة والنشر

سوريا - دمشق صندوق بريد : ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦

تلفون : ٧٧٧٢٠١٩ - ٧٧٧٦٨٦٤ - فاكس : ٧٧٧٣٩٩٢

بيروت - لبنان صندوق بريد : ٣١٨١ - ١١ فاكس : ٤٢٦٢٥٢ - ٩٦١١

Al Mada : Publishing Company F.K.A.

Nicosia - Cyprus , P.O.Box . : 7025

Damascus - Syria , P.O.Box . : 8272 or 7366 . Tel: 7776864 , Fax: 7773992

P.O. Box : 11 - 3181 , Beirut - Lebanon, Fax : 9611- 426252

All rights reserved. No Parts of this Publication may be reproduced, stored in aretrieval system , or transmited in any form or by any means , electronic, mechanical, photocopying, recording or other wise, without prior permission in writing of the publisher.

إشارة

أثرتُ أن أنشر أعمالِي الشعرية بترتيبٍ آخر: القصائد القصيرة في مجلد ، والقصائد الطويلة في مجلد ، والنصوص غير الموزونة في مجلد . يتخلى هذا الترتيب عن التتابع الزمني ، وفاءً لتتابع البنية والإيقاع . إنه ترتيب ينحاز إلى السياق التشكيلي - الفني الذي يتأسس فيه النص ، وليس إلى تسلسل زمن كتابته أو نشره . هكذا تقطع هذه الطبعة كلياً مع الطبعات السابقة من هذه الأعمال ، إضافة إلى أنها تنسخها . وهي ، إذن ، المعتمدة ، وحدها .

باريس ، نيسان ١٩٩٦
أدونيس

تصانف أولى
(1955-1949)

قالت الأرض

(مقاطع)

- ١ -

قالت الأرض في جذوري أبادُ
حنينٍ، وكلُّ نبضي سؤالُ
بيّ جوعٌ إلى الجمال، ومن صدري
كان الهوى، وكان الجمالُ

- ٢ -

مالي اليوم أستفيقُ، فلا حقلي
نضيرٌ، ولا تلالي زواهرُ
لا النواطير يسمرون مع النجم
ولا الضوء راتعٌ في المحاجرُ
أنا كنزٌ مخبأً، أين أبنائي
فكّلي صوتٌ، وكلّي حناجرُ.

- ٣ -

رَبِّمَا أَنهَكْتَهُمْ ضَرْبَةً عَمِيَاءُ
فَاسْتَسْلَمُوا لَهَا وَاسْتَلَانُوا
رَبِّمَا أَلْبَسُوا ثِيَاباً سَرَتْ فِيهَا
أَكْفُ الأَوْثَانِ ، والأَوْثَانُ
رَبِّمَا... رَبِّمَا ، كَأَنَّ الحُرُوفَ السُّودَ
صُمِّمَتْ فِي وَقْعِهَا الأَذَانُ
فَكَأَنَّ لَمْ أَطْلُعْ عَلَى الأَرْضِ مِيلاداً
وَيُخْلَقُ مِنْ صَدْرِي الْإِنْسَانُ .

- ٤ -

قُمْ مَعَ الشَّمْسِ يَا شَبَابِي ، وَحُرِّكْ
عَالِماً سَاهِمَ البَصِيرَةِ ، جَامِداً
أَنْتَ عَلِمْتَهُ الحَيَاةَ قَدِيماً
وَسَتَبْقَى لَهُ دَلِيلاً وَرَائِدُ .

- ٥ -

أَنَا سَوِّيتُ مِنْ عُرُوقِي أَبْنَائِي
وَرَبِّيتُهُمْ ذُرِّيَّ وَجِبَالاً
يَتَسَامُونَ فَالطَّمُوحُ مَدَى جَدْبٍ
وَيَحْيُونَ فِي الزَّمَانِ مِثَالاً

أنا سوّيت من عروقي أطفالاً
وسوّيتُ فيهم الأطفالا .

- ٦ -

مَجِّدُونِي ، تَفَتَّقُوا فِي يَنَابِيعِي
فِيضاً ، وَفِي تَرَابِي رِبِيعَا
وَحْدَةً نَحْنُ ، يَضْحَكُ الْقَلْبُ لِلْقَلْبِ
وَتَسْتَلُّهُمْ الضُّلُوعُ الضُّلُوعَا
كَمْ أَقْلُنَا مُعْثَرِينَ حِيَارَى
وَاحْتَرَقْنَا عَلَى الدُّرُوبِ شَمُوعَا
وَمَدَدْنَا لِلظَّامِثِينَ نَفُوساً
فُجِّرَتْ فِي حَيَاتِهِمْ يَنْبُوعَا .

- ٧ -

يَا التَّوْقِي ، يَا عَمَقَهُ ، يُخْلَقُ
الْمَجْهُولُ فِيهِ ، وَتُولَدُ الْأَيَّامُ
يُمسَحُ الوَهْمُ عَنْ حَيَاتِي فَلَا
الْإِيهَامَ يَلْهُو فِيهَا وَلَا الْأَوْهَامَ
بَعْضِي الْفَجْرُ ، بَعْضِي النُّورُ وَالْحَبُّ
فَمَا مَرَّ فِي كَيَانِي ظِلَامٌ
إِنْ أَكُنْ نَمْتُ مَرَّةً ، فَلْأَعْمَاقِي

دويُّ مجلجلٍ لا ينامُ .

- ٨ -

أيّ خلقٍ كالسرّ ، كالحلم ، كالفتح
يفضُّ البعيدَ والمجهولاً ...
جُمعَ الكلّ فيه ، فالخلقُ
مضفورٌ على كبريائه إكليلاً .

- ٩ -

حَمَلتَ فجرَهَ بلادي أنباءَ
حياةٍ غَلَابَةٍ وشبابٍ
قُلْ لمن يحضنُ السَّرابَ ويلهو
بفراغٍ مُطرّزٍ بالسَّرابِ
أشرقَ العالمُ الجديدُ ، وماتتْ
خلفه ، جاهليّةُ الأحقابِ .

- ١٠ -

يئسُ الشعبُ من مغالبةِ اليأسِ
ففيه لليأسِ بابٌ عتيقُ
يتمشّى في صدره قلقُ جمرٍ
وصوتُ مجرّحٍ مخنوق

جُنُّ فِيهِ السَّوَالُ ، أَيْنَ غَدُ
يَخْلُقُ مَا شَاءَ ، وَأَيْنَ الطَّرِيقُ ؟
كَلَّمَا هُمْ أَنْ يَثُورَ عَلَى الْقَيْدِ
تَوَلَّاهُ خَائِنٌ أَوْ عَقَّوْقُ
رَبُّ صَبَحَ أَفَاقَ فِيهِ فَعَفَّى
خَائِنِيهِ ، إِبَاؤُهُ الْمُسْتَفِيقُ .

- ١١ -

لَا نَوَاعِيرُهُ تَدُورُ ، وَإِنْ دَارَتْ
فَبِالْبُؤْسِ وَالشَّقَاءِ تَدُورُ
بِيدَرٍ يَسْأَلُ الْحَصَادَ عَنِ الْقَمْحِ
وَحَقْلٍ يَذْوِي وَأَرْضٌ تَبُورُ
وَعَلَى أَنَّةِ الْعَذَابِ وَأَهْ الْيُثْمِ
تَعْلُو مَرَابِيعُ وَقَصُورُ
تَشْرِبُ الذَّرَى عَلَى ضِجَّةِ الْوَيْلِ
وَتَشْكُو إِلَى الصَّخُورِ الصَّخُورُ .

- ١٢ -

فِي الدُّرُوبِ انْتِفَاضَةُ الْكَبْرِ
فَالْخَطُوءُ عَلَيْهَا مُحَقَّرٌ مَرْدُولُ
قَدَمٌ تَكْتُبُ الْجَرِيمَةَ وَالْبَغْيَ

فخَطَّوْأَتْهَا دَمٌ وَقَتِيل
وَالْقُرَى صَفْرَةٌ ، فَقَدْ مَسَحَ الْخَضِرَةُ
عَنْ وَجْهِهَا النَّضِيرَ ، الذَّبُولُ
كُلَّ بَيْتٍ فِيهَا ، شَفَاءُ تَجَمُّدَنَ...
فَمَاذَا تَشْكُو ، وَمَاذَا تَقُولُ؟
يُورِقُ الْيَبَسُ فِي الصَّرَاعِ ، وَيَحْيَا
الْمَيِّتُ فِيهِ ، وَيَبْطُلُ الْمُسْتَحِيلُ!

— ١٣ —

أَلْجِبَالُ الْعَتَاقُ وَالصَّخَرُ وَالشَّاطِئُ
وَالزُّورِقُ الْمُدِلُّ الْمَغَامِرُ
صَرَخَاتٌ — مَدَى كَأَنَّ عَلَيْهِ
مِنْ جَفَوْنَ التَّارِيخِ أَلْفَ سَاهِرُ
هِيَ فِينَا حُبٌّ يَسْأَلُ عَنْ حُبٍّ
وَمَاضٍ يَلْفُ بِالْمَجْدِ حَاضِرُ
عَبَثًا ، لَنْ تَهْدَ جُلُجْلَةَ الْبَغْيِ
شَفَاءُ نَدَابَةِ ، أَوْ مَنَابِرُ
لَيْسَ إِلَّا أَنْ نَنْسِجَ الْحُبَّ رَايَاتٍ
وَأَنْ نَرْفَعَ النُّفُوسَ مَنَائِرُ

- ١٤ -

ها طريقُ الحياة نحن شقّقناها
عِراكاً وثورةً وجهاداً
نتخطّى عنفَ الزّمانِ ونُلقي
صورَ العُنفِ خلفنا أمجاداً
ربّ نورٍ كان الحياةَ لشعبٍ
لمحتّه عين الظلام سواداً .

- ١٥ -

لغة الحقّ أن نموت مع الحقّ
انتصاراً أو أن نموت انكساراً
ليس عاراً لنا ، إذا ما نُكِبْنَا
إنّ في خفضنا الجِباة العارا

- ١٦ -

يا لذلّ يطوي النفوس ويبنيها
عروشاً تتيه ، أو سلطاناً
كم مشّت حولنا مواكبها السّودُ
جحيماً ، وغلغلت أفعوانا
أيّ حقّ حنّا الجمال عليه
لم يصرفني ضميرها بهتاناً

مالها ، مالها يُمزّقها الحقدُ
جنوناً ، وترتمي خذلانا
لم يَلِن نائِبها العتيُّ ، ولكن
لَمَحَتْ في صدورنا الطوفانا .

— ١٧ —

أَنْ يا شعبُ أن تزولَ حياةُ
تَتَمَادَى قولاً وقِيلاً وقالاً
لا يصير السُّراب حقّاً ولا تُعطي
أكفَ الرُّمّال إلا رمالاً .

— ١٨ —

أيها الجيلُ أين كبرك يا جيلُ
فهل ماتَ في هوائكَ الجهادُ؟
أرضُكَ الأرضُ لا السنابلَ آفاقُ
تهزُّ الرؤى ولا الحصّادُ
أثرى هلكَ العيَاءُ وأسلسَتْ
قياداً ، فجُنَّ فيك القيادُ
كيف تحيا وكلّ أرضك أناتُ
حيارى ، وكلّها أصفادُ
أين يا جيلُ ، أين كبرك يا جيلُ

فهل مات في هوائك الجهادُ

- ١٩ -

ما علينا قهرُ الصعاب ، ولكن
علينا أن نقهر المستحيلا
نحن تاريخُنا ونحن ليالٍ
ضحكت في يمينه إزميلا
فجر الكبر في جوانحنا زيتاً
وألقي جراحنا قنديلا
هَمُّنا أن نمزق الحُجب السود
ضياءً ، ونكشف المجهولا
كثفتنا الحياة حتى كأننا
ألف جيلٍ منها يعانق جيلا .

- ٢٠ -

أبدأ ، نخلق الوجودَ ونعطيه
حياةً ، كما نرى ونشاء
قطرت في أكفنا فلق الصخر
عبيراً ، واهتزت الصحراءُ
قيل : كنّا ، فاخضر من شغفٍ
حلم الليالي ، واخضرت الأشياء .

- ٢١ -

منذ كنّا ، كنّا طغاةً على الذلّ
وكنّا في وجهه ثوارا
نتخطّى عنف الحياة وتلقّي
خلف خُطواتنا الشذى والغارا
فزرعنا عين الوجود جمالاً
وملأنا أعماقه أسراراً
وشمخنا نلفّ بالعَبَق الدنيا
ونبني في جبهة الشمس داراً
سهرت بعدنا النجوم وصارت
لأساطيرِ مجدنا سُماراً .

- ٢٢ -

ذاك مجدنا يسيرُ إلى الشاطئ
في مهرجانه المجتاح
لم تلامسُ شراعَه رِيشةُ اليأس
ولا هزّه ضجيجُ الرّياح
ما روانا دَفْقُ الجراح ، ففينا
لمداها ، تلقّت الملتاح
كلما استَيأسَ الكفاح بصدرٍ
جلجلت تستفزنا للكفاح .

- ٢٣ -

ربَّ أمِّ تَمُدُّ كَفًّا إِلَى الْأَرْضِ
وَكَفًّا لَطِفْلَهَا الْمَقْرُورِ
لَمَحَتْ فِي صِرَاحِهِ لُغَةَ الْقَهْرِ
وَرُغْبَ الدُّنْيَا وَمَوْتَ الشَّعْوَرِ
وَرَأَتْ فِي جَبِينِهِ ثَوْرَةَ الْجُوعِ
وَأَطْيَافَ جَفْنَيْهَا الْمَذْعُورِ
فَانْحَنَتْ تَأْكُلُ التَّرَابَ وَتَسْتَفُّ
بِقَايَا مَوَائِدِ وَقَشُورِ .
وَعَلَى ثَغْرِهَا رَجَاءٌ : غَدًا تَخْضُرُ
أَرْضِي ، غَدًا يُضِيءُ سَرِيرِي .

- ٢٤ -

وَعَدًا تَلْعَبُ الطُّفُولَةُ بِالْوَرْدِ
وَتَنْمُو حَقُولُنَا وَتَفِيضُ
يَمْلَأُ الْخَيْرَ أَرْضَنَا ، فَإِذَا الشَّعْبُ
نَمُو ، وَقُوَّةٌ ، وَنَهْوَضُ
وَإِذَا أَرْضُنَا مَنَائِرُ لَا تَخْبُو
وَدَفْقٌ مِنَ الشَّذَى لَا يَغِيضُ
لَا مُكِبٌّ عَلَى السَّوَالِ وَلَا مُلْقَى
عَلَى شَاسِعِ الدُّرُوبِ مَرِيضُ

كل فقر يفنى ، ويفنى مع الفقر
زمان جهم وكون بغيض .

- ٢٥ -

... فإذا الكون كوئنا وإذا الدنيا
شمالاً لحبنا ، ويميناً
إن خلق الحياة صعب ، ولكن
كل صعب ، إذا أردنا ، يهون .

- ٢٦ -

أنا شئت الزمان حلماً على جفني
وصوتاً مجلجلاً في شبابي
لي غد كلما تلمسه الليل بباب
أطل من ألف باب
فتحت كفه دروبي وأزسستها
على التيه ، دفقة من شهاب
أنا وجه المدى ، فكل جمال
في فؤادي يحيا وفي أهدابي
كلما أوماً التراب لأجفاني
تمثلت قوتي في التراب .

لبلادي أنا ، لشورتها الكبرى
لأفاقها الفساح البواسيم
لحقول... مواسم ، تزرع الأرض
ربيعاً ، تكلّمي يا مواسم !
ثورة من تفتّح الذات لا تُطلع
إلا منائراً وملاجيم .

أنا فيها الفلاح أزرعها قمحاً
وورداً ، وأقلع الأشواكا
سكتي تنطح الصخور ، وتمشي
في الأحافير ، نشوة وعراكا
وحقولي سنابل تفرع النجم
كأنّي زرعت فيها السماكا
قيّم باسم أمتي... لست مقطوعاً
ولا غاصباً ولا ملاكاً
أنا للشعب... أيها الشعب مُجدت
فلاني في كل شيء أراكا .

أنا فيها الراعي... أطوف وأغنامي
ذراها وغابها ورُباها
لي قلبٌ يُحسُّ خلج المجاهيل
ويصطاد في البعيد الآها
قلقٌ، يحرس القطيع وينقَضُ
على الرُعب، شامخاً تيّها
ومعي النَّاي - جُمّعت فيه آفاق
بلادي: شطآنها وقراها
أُطِلِّعُ اللَّحْنَ، لحنها فكأنني
واضعٌ بين راحتي وإلهها.

كلّها في دمي: تراباً وأجواء
وزهراً، وصبيّةً وصبايا
سوّيتُ من رحابها الخضر أجفاني
وقلّدتُ جوانحي ويدايا
أنا إن متُّ، لا أموت، فقد
ركّزتُ في جبهة البقاء، خطايا
ربّما عشتُ في مزاميرها لحناً
وغلّغلتُ في ذراها عشايا

كلها في دمي ، وكلّي فيها :
صبيةٌ يعشقونها وصبايا .

- ٣١ -

أنا دربي طويلةٌ كغديّ يُقبِلُ
كالكون ، في مداه الطويلِ
أنا دربي خضراءُ ، لوّنها قلبي
وغطّى جراحها تقبيلي
أنا دربي وثبُّ على الموت خَطَافُ
وغدُّ في المغلق المجهول
أنا جيلٌ في أمّتي ، وأنا فردٌ
من الجيل ، بل أنا كلُّ جيل
أينما كنت ، كنت في صدرها أحيا
وفي روحها الكبير الأصيل .

- ٣٢ -

أنا جرحٌ مُضْمَعٌ بالبطولات
وضوءٌ على النذرى مرشوقُ
أنا لي مشرقُ النجوم ومرساها
ولي أفقُها الفسيح العميق
ولي البحرُ ؛ شمسُه ودياجيه

ولغز في جانحيه عتيق
أنا لي أمّتي : جمال وتاريخ
ولي أرضها : غد وطريق
لست وحدي ، فكلّها كلّ ما
فيها ، نداء يضمّني ورفيق .

- ٣٣ -

أنا فيض من أمّتي وعتيق
مرّ في كونها العتيق الجديد
مطلق في كيائها ، فأنا فيها
كيان طلق بغير حدود
كل فرد فيها أحس كأن
جُمع فيه صدري ، وسال وريدي
إن في الغير بعض نفسي ، وفي
الآخر ، شرطاً ومنبعاً لوجودي .

- ٣٤ -

أنا لي نبضة الملايين في شعبي
ولي هذه السّهول الفساح
لي أهات أمّتي وأمانيتها
ولي كبرياؤها والجراح

أنا ورد في هذه الأرض نمام
وعطر من امتي فواح .

- ٣٥ -

أن لي أن أسأل نفسي
من ليل اليف ، ومن صباح مُعاد
أن لي أن أكون نفسي ، أن أحيا
وجودي ، وأمتي وبلادي
وأرد التاريخ شهقة جوع
تغذي من قبضتي وفؤادي .

- ٣٦ -

من هنا ، من بلادنا ، نحن أقلعنا
شراعاً ، وموجة ، وليالي
ومشينا حرفاً على صفحة القلب
وحرفاً على شفاه السؤال
زرعت كبرياناً صور الحب
وروداً وسوسناً ودوالي
وملأنا عين الزمان ، فما تبصر
إلا كواكباً ولآلي
فإذا نحن لهفة القلب للقلب

وارثُ الأجيال للأجيال .

- ٣٧ -

ها بلادي ، كأنَّ بغدادَ صارت
من دُرى الشَّامِ ، أو غَدَت لبَناناً
نحن شئنا الدنيا جمالاً وحقاً
وخلقنا للعالم الإنساناً

- ٣٨ -

من رأى الشمس تستفيقُ مع الشَّعبِ
وتشتاقُه مدىَّ وضياء؟
من رآها تنكبُّ ظمأى على أرض
بلادي : صخرأً وظلاً وماء؟
أنَّ يا شمس أنْ تغربَ في الأرض
وئلقي عن صدرها الأعباءَ
عرفتُنا مراكباً تقهر الموج
وفأساً خلقةً خضراءَ
ورأتنا نسير فيها أساطير
ونحيا في قلبها أنبياءَ .

ها رجعنا للكشف : تُنشرُ آفاقُ
عُصورٍ ، وتنطوي آفاقُ
سُفنٍ تقحم العباب... ففي اللجّ
دويّ مغامرٍ ، خلاقُ
بعضها سنديةً ، بعضها أرزُ
وبعضُ مغامرون رفاقُ
تتغنّى بنا الشواطئ ، فاللحن
شموخٌ ونشوةٌ وانعتاق
كلّما فُضّ مغلقٌ في مداها
جذبتنا الأبعادُ والأعماق...

(1950-1949)

قصائد إلى الموت

يُحِبُّنِي الطَّرِيقُ وَالْبَيْتُ
وَجِرَّةٌ فِي الْبَيْتِ حَمْرَاءُ
يَعِشْقُهَا الْمَاءُ

يَحِبُّنِي الْجَارُ
وَالْحَقْلُ وَالْبِيدَرُ وَالنَّارُ

تَحِبُّنِي سَوَاعِدُ تَكْدَحُ
تَفْرَحُ بِالدُّنْيَا ، وَلَا تَفْرَحُ
وَمِزْقٌ مَنثورَةٌ مِنْ أَخِي
مِنْ صَدْرِهِ الْمَرْتَحِي
يَخْبِئُهَا السَّنْبِلُ وَالْمَوْسَمُ
عَقِيقَةٌ يَخْجَلُ مِنْهَا الدَّمُ .
كَانَ إِلَهُ الْحَبِّ مُذْ كُنْتُ -
مَا يَفْعَلُ الْحَبُّ ، إِذَا مِتَّ؟

أسوار

يضمّنا الموت إلى صدره
مُغامِراً ، زاهدا
يحملنا سِراً على سرّه
يجعل من كثرتنا واحدا .

الشمس

ما أغمضتُ عيناي إلا على
حلم يسير الموت في سيره
ينام في الظلمة مُستغرقاً
ويطلع الشمس على غيره .

الموت

(مرثيتان إلى أبي)

- ١ -

أبي غدّ يخطر في بيتنا
شمساً وفوق البيت يعلو سحابُ
أحبه سرّاً عصياً دفينُ
وجبهةً مغمورةً بالترابُ
أحبه صدرأ رميمأ ، وطنُ .

- ٢ -

على بيتنا ، كان يشهق صمتٌ ويبكي سكونُ
لأنّ أبي مات ، أجذبَ حقلٌ وماتت سنونو .

أغنيتان للموت

— ١ —

كأنَّه الموتُ إذا مرَّ بي
يخنقه الصمتُ ،
كأنه ينامُ إن نمتُ .

— ٢ —

يا يدَ الموتِ أطيلي حبْلَ دربي
خطفَ المجهولُ قلبي ؛
يا يدَ الموتِ أطيلي
علّني أكشف كنهَ المستحيل
وأرى العالمَ قُرْبِي .

أغنيات للحب

- ١ -

قالوا : مشت ، فالحقل ، من وله
متلِّبك ، والقمح يكتنز
بُعث التناغم عبرَ خطوتها
والهيدبي والوخد والرجز
تومي فيلتفت الصباح لها
من لهفة ، ويتغنى العنز
ما الوشم؟ ما الخرز؟
ما الأقدمون السمر؟ لم يلجوا
لُغزاً ، ولا اكتنھوا ولا رمزوا ،
لفتاتها تنخر
وجفونها وتر وأغنية
صيفية ، وقميصها كرز .

- ٢ -

قال لي ، الآن ، صديّ منك :
«لا عمرَ للسرّ الذي يحكي
عنيّ أو عنك» .

- ٣ -

أحسّك في غريزة كَشَفِ
فأربط دَقَّ الثواني بقلبي ، وأعرف ما سيكون ، بلهفي .

- ٤ -

نَعرف كيف تعشق الفصولُ
نَعرف أيّ لغةٍ تقولُ -
يا جهلها ، - الرياحُ والحقولُ .

- ٥ -

لا ، لا أخافُ -
لك ما سيُبتكرُ اعترافُ .

بين عينيك وبينني

حينما أغرقُ في عينيكِ عيني ،
ألمح الفجر العميقا
وأرى الأمل العتيقا
وأرى ما لست أدري ،
وأحسّ الكون يجري
بين عينيكِ وبينني .

بيت الحب

(مقاطع)

أحبك ، حتى كأن الحياة ابتكارٌ لحبي .
أحبك ، والضوء في ناظريك انزوى وانغمز
وشعرك شلالٌ تلج على كتفك انهمر .
كأنني أجرّ ورائي السنين وأستنفد
وحولي في بيتنا سريرك والمقعد
ومعطفك الأسود
ونارك والموقد .

سألتك ، خليه ، خلي سراجك يستسلم
ويدفنه المنحبا المظلم ،

وقولي لعينيك أن تغمضا
أنا ، الآن ، فجرٌ طويلٌ طويلٌ
تكاد تقول الثواني : مضى .

(15 شباط 1954)

يقولون إنني انتهيت

يقولون إنني انتهيت
ولم يبق في مهجتي
سراجٌ ، ولم يبق زيتٌ .
أمرّ على الورد ، ما همّة
ضحكتُ له أو بكيتُ؟
وللورد في ناظري
وفي خاطري
صباحٌ محوَّتْ به وامّحتُ .
أحبّ أنا ، كم أحبّ جمالي
وأعبد فيه ضلالي
فيا ما هديتُ به واهتديتُ .
ظمئتُ ، متى يا دمي ، يا شبابي
تقول ، ارتويتُ؟
ظمئتُ إلى موعد
وقفتُ عليه غدي .
ظمئتُ لقلبٍ فسيحٍ عميقٍ

أفجره شعلاً في طريقي
وأخزنه في عروقي
وأتركه بين حيٍّ وميتٍ ،
ظمئتُ ، متى يا دمي يا شبابي
تقولُ ارتويتُ؟

يقولون إني انتهيتُ
ولي الأرضُ ، لي زهوها ، ولي كبرها
تجرّحني راحتها ويعبدني صدرها
إذا شوكتها عافني تحطّفتني زهرها .
يقولون إني انتهيتُ
ولي الأعصرُ

إذا جئت في بالها تسكرُ .
يقولون إني انتهيتُ

وفي كل دربٍ
يُصفّق لي ألف قلبٍ
ويضحك ظلٌ وبيتٌ .
شربتُ أنا كل قلبٍ ،
شربت ، كأني انتشيتُ ،
وقلتُ انجبلُ
يا وجودي ، وكن ما اشتهيتُ .

(دمشق 1957/7/7)

حدود اليأس

يأس

ماشٍ على أجفانه سادراً
يعجره مديدُ آهاته
تلطمه الحيرة أنى مشى
كأنها سكنى لخطواته .
علّق بالغيب فأجفائه
رمليةُ الأفق
كأنما ، من يأسه ، شمسُه
تغيبُ في الشرق .

أغنية إله الطفولة

(مقاطع)

في السرير القَلِق الدافئِ حُبٌ
يستفيقُ ،
هو للناس تراتيلُ ، وللشمس طريقُ .
للطفولة ،
تشرق الشمس خجوله ؛
في خُطاهها يصغر الكون الكبيرُ
ويضيئ الأبدُ ،
فأما الأبدُ غط العيسُ مدُ ،

ولها الدنيا سريرُ .

أنا بالأمس ، لي الآهاتُ بَيَّتُ
ولي الفقر سراجُ والدمُ النَّازفُ زيتُ .
كنتُ كالظلِّ ، كما دار به الفقر يدورُ
قدمي ليلٌ وأجفاني نورُ .
يا طفوله ،
يا ربيعَ الزمن الشيخ وأذار الحياة ،

وهوى ماضٍ وآتٍ ،
في غدٍ ، أنتِ صراعٌ لا يُحدّ ،
وطموحٌ لا يُردُّ .

وغداً أنتِ ميادين بطوله
تُنشئ الكون وتُبدي وتُعيد ،
فيغنيك الكفاحُ
وتغنيك الجراحُ ،
ويغنيك الدّم البكر الجديدُ

يا طفوله
يا هوى ماضٍ وآتٍ
يا ربيعَ الزّمنِ الشيخِ وأذار الحياة .

بيت

حِكَايَةُ الْأَشْبَاحِ فِي بَيْتِنَا
بَعْدُ ، عَلَى شَفَاهِنَا تَخْطُرُ ،
يُخْبِئُهَا الْمِحْرَاثُ وَالْبِيدْرُ ؛
فِيهِ تَنَوَّرْنَا مَسَافَاتِنَا
فِيهِ حَلَمْنَا بِالْمَجَاهِيلِ -
نَقْفُزُ مِنْ كَوْنٍ إِلَى آخَرٍ
نَطِيرُ مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ .

حيرة

ينشر عينيه ويطويهما
حيران ، لا يغفو ولا يستفيق
كأنما يفرُّ من نفسه
كأنما تجفلُ منه الطريق .

المشردون

في أول العام الجديد
قالت لنا ،
أهائنا ، قالت لنا ،
شدّوا الرّحال إلى بعيد ،
أو فاسكنوا خيمَ الجليل
فبلادكم ليست هنا .
نحن الذين على الدّخيل تمرّدوا ،
فتهدّموا وتشردوا
أكل الفراغ نداءنا ،
ومشى الأمام وراءنا
أيامنا جمدت على أشلائنا ،
وتقلّصت كدمائنا
صارت تعيشُ على الثواني ،
صارت تدور بلا زمان .

متشثّون ، مضيّعون على الدروب

صُفِّرَ السَّوَادُ وَالْقُلُوبُ
وَالْجُوعُ كُلُّ نَدَائِنَا ،
وَالرَّيْحُ بَعْضُ غَطَائِنَا
حَتَّى الصَّبَاحُ يَفِرُّ مِنْ آفَاقِنَا ،
وَيَغِيضُ فِي أَحْدَاقِنَا
أَقْلُوبَنَا ، رَفَقاً بِنَا ، لَا تَهْرَبِي
وَتَقْهَمِي عَنفَ الْمَصِيرِ
فِي الْجُوعِ ، فِي الْيَأْسِ الْمَرِيرِ ،
وَهُنَا ، عَلَى هَذَا التَّرَابِ ، تَتَرَبَّيْ
فَغَدّاً ، يُقَالُ :
مِنْ أَرْضِنَا طَلَعَ النُّضَالُ
وَنَمَا عَلَى أَشْلَائِنَا
وَنِدَائِنَا
وَعَلَى تَلَفَّتِنَا الْبَعِيدِ
لِغَدٍ جَدِيدٍ .

قصائد لا تنتهي

هوی ریشتی

أَمْسِ ، عَلَى أَرْضَيْنِ مَخْضِرَتَيْنِ
كُتِبَتْ أَشْعَارِي فِي لِحْظَتَيْنِ
وَشَتَّتْهَا ، عَلَى هَوَى رِيشَتِي ،
هَنَا سَنُونُو ، وَهَنَا بَرَعَمِينُ . . .

فجر

شمسك في مفاصلي
كالثلج ، كالحريق
يا قلقاً يُولد في طريقي
يا فجرُ ، يا رفيقي .

حلم

في مهجتي تحيا معي قصةٌ
أولُّها أبعدُ من أن يبينُ
أشْمُ فيها من رُبَى موطني
رائحةُ التفاح والياسمينِ
كأنما حروفها فُجِّرت
من جَبَلٍ صخرٍ وماءٍ معينٍ .

يا قصةً تسير بي دربها
إلى فضاء الزَّمنِ الأولِ ،
ما أنتِ إلا حلمٌ مبدعٌ
للزَّمنِ المُقبلِ ،
تهدرُ في صدري أسرارهُ
يَبيِّنُ لي فيه الذي لا يبينُ .

أمطار

يُمسِكُ بالمحراث في صدره
غيمٌ وفي كفيه أمطارٌ ،
محراثه يفتح أبوابه
للممكن الأغنى ،
يُبْعَثُ الفجر على حقله
يُعْطِي له معنى .
أمس رأيناه وفي دربه
من عرق النهار فوارٌ ،
يعود للراحة ، في صدره
غيمٌ وفي كفيه أمطارٌ .

العباءة

في بيتنا عباءة
فصلها عمر أبي
خيطها بالتعب .
تقول لي - كنتَ على حصيره
كالغصن المنجرد
وكنتَ في ضميره
غد الغد .

في بيتنا عباءة
مرمية ، مبعثره
تشدني لسقفه
لطينه للحجره
المرح في ثوبها
ذراع المخبضه
وقلبه ولهفة في قلبه مُستوطنه
تحرصني تلفني تملأ دربي أدعيه
تتركني شبابة وغابة وأغنيه .

أفقي وعد ...

عابرٌ أحمل أيامي وبني
ظمأ الرمل وفي خطوي بحارُ
يا هوى ضيَّعني ، مرَّ على
حيرتي ، مرَّ على شُطآنِها
وسلَّ الأصداف عن كُهانِها
أي سرُّ لي في أعماقِها
أي حلم لي في أجفانِها؟
هي في صدري تراتيلُ غدٍ
وبخُورُ مذهب النار ، ونازُ -

من أنا ، أيُّ هوى أحيا له؟
أفقي وعدٌ وعيناي انتظارُ .

شرق الجمال

كُلَّما مرَّ ببالي
أن أرى شرق الجمالِ
ودعاني الشَّقَقُ ،
تمَّحِّي ، عِبرَ خُطايَ ، الطَّرُقُ .

قلق

يا ظُلمةً في أفقي
يا قلقي ،
شدّ على تجلّدي ومزّق
واعصف به وحرّق ،
لعلّ في رماده
أبتكرُ الفجرَ النقي .

فِي عَتَمَةِ الْأَشْيَاءِ

فِي عَتَمَةِ الْأَشْيَاءِ فِي سِرِّهَا
أَحَبُّ أَنْ أَبْقَى
أَحَبُّ أَنْ أَسْتَبْطِنَ الْخُلُقَا
أَحَبُّ أَنْ أَشْرَدَ كَالظَّنِّ
كَغَرَبَةِ الْفَنِّ
كَالْمَبْهَمِ الْعُقْلِ وَغَيْرِ الْأَكِيدِ -
أَوْلَدُ فِي كُلِّ غَدٍ مِنْ جَدِيدٍ .

مسيرة

أَمْشِي وَتَمْشِي خَلْفِي الْآنَجْمُ
إِلَى غَدِ الْآنَجْمِ
وَالسَّرُّ، وَالْمَوْتُ وَمَا يُوَلَّدُ
وَالْتَّعَبُ الْمَفْرَدُ
تُمِيتُ خُطَوَاتِي وَتُحْيِي دَمِي .

أَنَا الَّذِي لَمْ تَبْتَدِئْ دَرْبَهُ
بَعْدُ ، وَلَمْ يُرْصَدْ لَهُ مِثْجَمٌ -
أَمْشِي إِلَى ذَاتِي
إِلَى الْغَدِ الْآتِي ،
أَمْشِي وَتَمْشِي خَلْفِي الْآنَجْمُ .

المخاض

لِمَنْ يفتح الفجرُ شُبَّاكَ عيني
ويحفرُ فوق ضلوعي طريقَه
لِمَ الموتُ ينبضُ ملءَ كياني
ويربطُ عُمْري بخفق الثواني؟
عرفتُ : دَمِي رَحِمٌ للزمانِ
وفي شفتي مَخاضُ الحقيقه .

وحدة

وَحَدَّ بِي الْكَونُ فَأَجْفَانُهُ
تَلْبَسُ أَجْفَانِي ؛
وَحَدَّ بِي الْكَونُ ، بِحَرِّيَّتِي
فَأَيْنَا يَبْتَكِرُ الثَّانِي ؟ .

رؤى

(مقاطع)

لليالي فينا غدٌ ونجومٌ ؛
طَرفٌ حبُّنا لكلِّ سماءٍ
ومدىٌ لا نحدّه ، ونخومٌ .
للسوى ، للزمان نصنع للأفق دروباً ، وللتراب رداءً
ونسوي لكلِّ أرضٍ سماءً
يا رؤانا للناس والأرضِ - عينُ الأرضِ تاهتُ
فغَيَّرِي الأشياءَ...

الثلج والادخان

(مقاطع)

قَضِيبٌ مِنَ الثَّلَجِ : نَارٌ وَتَبَعٌ
وغيْمٌ دُخَانِ
عَوَالِمٌ لَا تَنْتَهِي - وَهِيَ تَفْنَى
بِضَعِ ثَوَانِي .
أَوْشَوْشُهُ كُلِّ مَا بِي : ظَنِّي وَحُلْمِي
وَمَا لَيْسَ تَجْرُؤُ أَنْ تَتَحَدَّثَ عَنْهُ دُمُوعِي
أَغَالِبُهُ ، وَأَنَا فِي غِلَابِي أَغْنَى وَأَقْوَى
فَأَسْقُطُ فِي رَاحَتِهِ وَعِنْدَ خُطَاهِ الْخَفِيَّةِ عَضُوءاً فَعُضُوءاً ،
وَأَعِشْهُ كَالْفُجَاءَةِ ، بَغْتَةً
بِهَمْسٍ ، بَلْفَتَةٍ
لَمَحْتُ وَجُودِي يَدَبٌ إِلَيْهِ
عَلَى شَفْتِي ، عَلَى شَفْتِيهِ ،
فَلِي فِي الدُّخَانِ
دَمِي وَزَمَانِي...

الدرب

(مقاطع)

في الحجر التّائه لونُ القلق
لون خيالٍ سرّى ، -
مَن ، يا تُرى ،
مرّ هنا واحترق .

يحلّو لخطوي اللّهبُ الأحمرُ
يحلّو له المجدُ
وكلّما طال به البعدُ
يعلو ويستكبرُ ،
وكلّما قلتُ لدربي : تُرى
إلى متى عبءُ السّرى والسّرى
متى أرى المشتهى
وأبلغ المنتهى
وأهدأ ؟
قالت لي الدّربُ : هنا أبداً .

عِزَّة

(مقاطع)

حاجبها كجرسٍ يَرِنُ
ملآنَةٌ بغَيْبِي
بواقعي وريبي
بكلِّ ما أُكِنُّ .

تنظرُ ، فالأحاجي
تُضيء كالسراجِ ؛
كأنها تعلَّقتُ
بهذبِ الزمانِ
فهيَ مع الصَّبَاحِ
والغيمِ والرياحِ
والصَّعبِ والمتاحِ ،
عُقْدَةُ كلِّ آن .

تُمسِكُ لي أصابعي وتُحدِّقُ
وتُطرِّقُ

وتَلجُ الكهَوفَا
وتنبشُ الحَروفَا -
ألا اضْحَكِي ، ألا انْبُسي
ألا اهْمُسي ، -
هَذي يَدي - خَذي يَدي
خُذي غَدي
وفَسِّري واجتَهدِي
وَوَشُوشِني واخْذَري
أَن تَجْهَري...

أبعاد غامضة

كلما لَمَّتْ يدي أشياءها
وانحنَت كالسَّنبِلِ
كمدى لم يُنْجَلِ ،
مَرَّ بي ضوءُ حريريّ الخطى
شائكُ الدَّربِ ، وناداني سكونُ -
وأنا بيتيَ في وجه الضَّحَى
زَهْرَةٌ شاخَتْ ومنقارُ سنونو .

حجر الضوء

على حَجَرِ الضوء أنقش عُمْري
وديعاً كحَبَّةِ قَمْحٍ ؛
يُغَطِّي حُرُوفِي ضَبَابٌ
وفي كَلِمَاتِي عَتَمَةٌ .
لَأَتِي حُبًّا ،
أُظِلُّ على الضوء أبني ، وتبني
معي حُفْنَةً من حَيَاتِي ولُقْمَةً .

أرض بلادي

أرض بلادي... كنتُ في وعيها
وكنتُ نجواها وأعماقها ،
أبدؤها ، أعيدُها في دمي
وفي فمي
براعماً ، أوديةً ، أحجراً ،
أنقلها للورى ،
رسالةً تُريه ما لا يُرى .
أرض بلادي قصّةٌ لم تزل
تقلبُ كفَّ الكون أوراقها ،
تحمّلها الشّمس ، فإن أغلقتُ
آفاقها ، تفتحُ آفاقها...
خلاقتي ، فأَيّ شيءٍ أنا
إن لم أكن بالحبِّ خلاقها .

متى أرى : لي مشرقٌ جامعٌ
يبتكر الشمس ، ولي مغربٌ
متى أرى ، والكون لي ملعبٌ
والحبّ والعزّة لي ساعدان ؛
قلبي للثورة مستنفرٌ
دقاته صارت زمانَ الزّمان .

يَقِين

أَمِنْ قَلْبِي بِأَنَاشِيدِهِ
بِمَوْطِنِي : بِالسَّرُّوِّ وَالْيَاسْمِينِ ،
بِكُلِّ مَا فِيهِ ، بِكُلِّ الَّذِي
كُونُ مِنْ مَاءٍ وَنَارٍ وَطِينٍ ،
بِأَمَّتِي... يُولَدُ فِي صَدْرِهَا
تَلَقَّتْ الدُّنْيَا وَحَلُمُ السَّنِينِ .

مَا فِي دَمِي إِلَّا مَدَارَاتُهَا
مَفْتُوحَةٌ كَالْأَرْضِ ، مَبْسُوطَةٌ
عَلَى الْغَدِ الْآتِي ، عَلَى الْعَالَمِينَ ،
مَا فِي شَرَايِينِي غَيْرُ الْيَقِينِ .

مستقبل الحرية

غداً ، عندما بلادي تغني :
«أنا الحبُّ يُؤثر عني
بوجهي محوُّ السّوادا
وصرت لكلِّ بلادٍ بلادا –
فلم يبق في أرضنا ظلامٌ ولم يبق شرٌّ» ، –
فقل أنا حرٌّ ، وقل أنتَ حرٌّ .

الجدجد

... ويقولون إنني لست كالغَيْرِ أَعْبُدُ
ليس في جبهتي حصيرٌ وركنٌ ومسجدُ
ويقولون : تائِهٌ ويقولون : جُدجدُ
وتساءلتُ — هل تَبَخَّرَ في وجهي الغدُ؟
وتذكَّرتُ أنني كنتُ للشمس أنشِدُ —
أنا في الشمس تائِهٌ أنا للشمس جُدجدُ .

مواعيد

للهيكل القاذف أنشودتي
في أبد المسير ، تمجيدي
كلّ طريقي سفرٌ دائمٌ
وفي المجاهيل مواعيدي .

الأشياء

فيما تنام الأشياء حولي ،
تَهْمِسُ لي بِأَسْمِهَا ، وفيما
تمنحني الحلم والأخوة ،
ترسمُ لي أغنياتِي
بلهيبِ النبوءة .

وجاء

يا شِعْرُ هَبْهُ أَنْ يَغْنِيَ مَعَ الْيَاسِ
وَيَعْتَادَ عَلَى النَّهَارِ ،
أَطْفَاتِ الْبَذُورِ فِي أَرْضِهِ
شُمُوعَهَا ، وَاحْتَرَقَتْ عَشْتَارُ .

عند نجمين

كلُّ بُرْهَةٍ
يغسل المجهول وجهه
بصلاتي
بينابيع حياتي .
عند نجمين على مشرق شعبي
عند قلبي ،
يُخبئ العالم كُنْهَهُ .

صورة وصفية

كان في مثل طلّعة الصبح -
عيناه اكتشافٌ ووجهه تسبيحُ
خلجت مرّةً يداه ، فمرّت
غيمةٌ وامّحت مع الغيم ريحُ .

حنين

فِي حنينٍ هو غير الحنين
غير الذي يملأ صدر السنين
تقربُ الأشياءُ منه كأنَّ
لا تعرفُ الأشياءُ إلاَّ
تقول - ما شئتُ لولاهُ ؛

كأنَّه أكبرُ من حاله
يعلو ويمتدُّ ولا يرضى
يريد أن يخرج من نفسه
ويحضنَ السماءَ والأرضاً .

دروب

أمسي غدَّ والكونُ ترتيلةٌ
تذوبُ، - في وجهي وحبِّي تذوبُ؛
يولد في عيني معنى الضحى
تبدأ من نفسي كلَّ الدروبُ

الكاهنة

في جبهتي كاهنة أشعلت
بخورها واسترسلت تحلمُ
كأنما جفونها منجمُ .
كاهنة الأجيال ، قولي لنا
شيئاً عن الله الذي يُولدُ
قولي - أفي عينيه ما يُعبدُ؟

أعيش مع الضوء

أعيش مع الضوء عُمرِي عبيرٌ
يمرّ ، وثانيتي سنواتُ
وأعشق ترتيلةً في بلادي
تَنَاقَلُها كالصباحِ الرعاةُ ؛
رموها على الشمسِ قطعةَ فجرٍ نقيٍّ
وصلّوا عليها وماتوا -
إذا ضحك الموت في شفّتكِ
بكت ، من حنينٍ إليك ، الحياةُ .

أوراق في الريح

(1960-1955)

أوراق في الريم

— ١ —

لأنني أمشي
أدركني نعشي .

— ٢ —

أسيرُ في الدّرب التي تُوصلُ اللهَ
إلى الستائر المُسدّلة
لعلني أقدر أن أبدله .

— ٣ —

قالَ خَطُوي وَرَدَّدْتُ أَبْعَادِي :
«قد تكون الحياة أضيقَ من ثقبٍ صغيرٍ في كومةٍ من رمادٍ» .

— ٤ —

كاللعبِ
تركض في مفاصلي

كلّ رياح التّعب ،
هل رُوِّعَتْ من لَهْبي
فالتجأت لريشتي
واختبأتُ في كُتبي؟

- ٥ -

حولي ، على وجه الضّحى ، صدأً
يغفو على بابي
في شكل أظفارٍ وأنيابٍ
أرئوله بغدي وأغسله
بدمي وأعصابي .

- ٦ -

ألموعد المجهولُ في صمت العذابِ
إبرّ تخطيط لي إهابي .
عميت دروبي : أين وجّه الأفق يقرأ لي كتابي؟

- ٧ -

وطني يُغْلغلُ في متاهٍ أجردٍ
هذا غدٌّ؟ لا لستُ من هذا الغدِ .

— ٨ —

نهرُ العالم ارتوى
من سراديب رجسه
أرضه ، منذُ كُنت
أطقاتُ شمعة الغدِ ،
قال عنه تجددِي :
«أنا أجري بعكسه» .

— ٩ —

لكي تقول الحقيقة
غيرُ خطاك ، تهياً
لكي تصيرَ حريقة .

— ١٠ —

كلّ العالم فيّ جديدُ
حين أريدُ .

— ١١ —

لأنّه روى من دمه قوله
لأنّه أسمى
من كلّ من حوله ،

قالوا له : «أعمى»
وانتحلوا قوله .

— ١٢ —

حتى الخطيئة ،
تلبس الصور المضيئة
وتقول : «حدسي مطلق بكر» ، وتجريتي بديته .

— ١٣ —

يبتكرون الحياة بالعدد
بواحد جائع بدون يد ،
وآخر نصفه من الزيد :
لا يُبدع الرملُ أيُّ أغنية
ولا تُحسُّ الأشياءُ بالأبد .

— ١٤ —

يطغى بي الحُلْمُ
فأضيعُ من شَغَفٍ ،
وأكاد بالعَبَثِ الفضيَّ أرتطمُ .

— ١٥ —

لا ، لا . أحبّ ، أحبّ أن أثقا :
وبسطتُ أجنحتي ومنحتُها الأفقا
فتناثرت مِرَقًا...

— ١٦ —

بنثرةٍ من المَلَلِ ،
أردم كلَّ لحظةٍ
بُحيرةً من الأملِ .

— ١٧ —

في جانحيّ دليلٌ
يسير بي للطريق
وفي الطريق رمادٌ
ينخبو ، ووهجٌ حريق .

— ١٨ —

أمسحُ بانتظاري
عناكبَ الغبارِ...

— ١٩ —

بعد غَدِ أبني
بيتي بالأمسِ
وأمسِ كالرّمسِ :
وارحمة الشمسِ...

— ٢٠ —

قال لي تاريخي الغارسُ في الرّفص جذورهُ :
«كلما غبتَ عن العالم أدركتَ حضورهُ» .

— ٢١ —

ناضلُ حتى يصلُ الحجّرُ
للشمسِ — لما لا يُنتظرُ .

— ٢٢ —

في الطّاقة الخرزِيّةُ
مازال خيطُ بصيصِ
من الضّحي ، وبقِيّه .

— ٢٣ —

أصوغ من وسادي المحجّرِ

أغنيّتي وريشتي ودفترتي .

— ٢٤ —

لا ، لم يُقَطَّفْ بعدُ الثَّمَرُ
فهو جنينٌ مُنتَظَرٌ...

— ٢٥ —

أجدرُ بالحاضرِ لو يُقَلَّبُ :
لو كعبُهُ يحلمُ ، أو يكتُبُ...

— ٢٦ —

قال الربيعُ :
«حتى أنا في كل ثانيةٍ أضيّعُها ، أضيّعُ» .

— ٢٧ —

أنا بيتُ الضَّوءِ الذي لا يُضَاءُ :
قلقي شعلَةٌ على جبل التَّيه
وحبِّي منارةٌ خضراءُ .

— ٢٨ —

في عروقي تغفو طواعيةُ الحلم ، وتبكي قيثارةُ الأشياءِ :

ما على الفجر لو ترسم خطوي
ما على الشمس ، لو تسير ورائي؟

— ٢٩ —

في بلادي تمشي أمامي حُفْرَة
صُنِعت من دم وعسف ومكر ،
في بلادي تُبنى السماء بشَعْرَة
وتُهدُّ الدنيا بلطمة ظفر .

— ٣٠ —

رَقِصت بين جفوني الخائفة
جثة الليل وحرباء المدينة ،
فَتَقَنَّعتُ بعشتار الحزينة
ورسمتُ العاصفة .

— ٣١ —

أمس ، فأره
حَفَرْتُ في رأسي الضائع حُفْرَه ؛
ربما ترغب أن تسكن فيه
ربما تطمح أن تملك فيه
كل تيه

ربما ترغبُ أن تُصبحَ فُكْرَه...

— ٣٢ —

أَعْطِ لِلْفَأْرَةِ سَوْطاً
تَبْخَتَرُ كَالطُّغَاةِ ،
رَحِمُ الْفَأْرِ مَرْحُومٌ بِذَنْبٍ وَبِشَاةٍ .

— ٣٣ —

شَدَّ عَلَى لِسَانِهِ وَكَمًّا
فَمَاتَ ، بَعْدَ بَرَهَةٍ ، أَصَمًّا .

— ٣٤ —

بَدَّلْ حَتَّى خَطَأَهُ
بِالْأُلَاهِ :
كَيْفَ يَصُوغُ مَبْدَأَهُ؟

— ٣٥ —

يَا وَجْهَ الْمُمْكِنِ ، وَجْهَ الْأُفُقِ
غَيْرَ شَمْسِكَ ، أَوْ فَاحْتَرَقِ...

— ٣٦ —

أعمقُ أن أغيبا —
أن أسكنَ الغربيا ،
لكي أصوغَ شكلَ السؤال ، أو أجيبا .

— ٣٧ —

هذا الجيل الطالع بعدي مثلَ هدير الأشياءِ
هذا الجيل وقفتُ عليه كلَّ غنائي
لم يُولد بعد ، ولكن ها هو ينبض في أعماق الوطن
ها هو يحرق ثوب العفنِ .
ها هو ينقب سدَّ الأمسِ ،
بيد الشمسِ ،
ذاك الجيل الطالع بعدي مثل الماءِ
مثل هدير الأشياءِ .

— ٣٨ —

قلبتُ كرسيَّ عرشي :
فحين أزهو وألهو
أصوغ ، في السرّ ، نعشي
وحين أتعبُ ، أمشي .

- ٣٩ -

تَيْبَسُ ، تَيْبَسُ أَعْصَابِي
كَالْقَشِّ ، كَفَاسِ الْحَطَّابِ :
أَيَّ دَخِيلٍ تَحْتَ إِهَابِي ؟

- ٤٠ -

لَا تَهْ الْأَفْقُ صَدَى كُلُّهُ
قَلْبٌ مِنَ الْآتِي وَتَسْبِيحُ ،
لَا تَهْرُمُ الرِّيحُ .

- ٤١ -

أَرْقُبُ اللَّهَ عَنْ كَثْبِ
بَصْرِي نُورُ شَمْعَةٍ
وَحَنَائِيٍّ مِنْ لَهَبٍ :
وَحْدَهُ ، يَفْهَمُ التَّعَبَ .

- ٤٢ -

لَا أَنْخَنِ
إِلَّا لِأَحْضَنِ مَوْطِنِي
أَنَا صَدْرُ أُمِّ مَرْضَعٍ تَحْنُو ، وَجِبْهَةُ مُؤْمِنٍ .

— ٤٣ —

من يرى الموتَ مثلهُ والحياةَ ،
يكتب الليلَ والنهارَ بعينه
وتمحو أوراقه الممّحاة .

— ٤٤ —

لأنّه يحيا صدىً وأشتاتا ،
إحساسه ماتا .

— ٤٥ —

هذا العالمُ ، منذُ ابتداءً
لم يُطفئْ حتى... حتى الظّما...

— ٤٦ —

يتكئُ السّجنُ على قَمَلَتينِ :
إحداهما حُبلى ، وتلك التي
ماتت ، تصبّ الأكل في قَصْعَتينِ .

— ٤٧ —

يا شَمْعَةَ المستقبلِ البصيرةَ ،
مالي أخاف الطُّرُقَ القصيرةَ ؟

— ٤٨ —

أحسّ المغيّب ينبت قربي :
خطاي اكتشافُ
وسيريّ أبعدُ من كل دربٍ .

— ٤٩ —

قال الغد الحائرُ :
«إن طفر اللحنُ
من شفتي طائرُ ،
لا يطربُ الغصنُ» .

— ٥٠ —

هذا العالمُ : من بينيه
يرميه أكثرَ في التّيه .

— ٥١ —

رأسه تحت وجهه
والعصا فوق رأسه
تتلهى بيأسه ،
والليالي تخثرت
علقاً ملء نفسه .

خلف عينيه قصّة
لم تُترجم حروفها
جذعها الشكّ والحذر
والمآسي قطوفها .
عمره شقّ حفرة
وسرايبٌ تُبتكر
هو دنيا طويلة
برغيفين تُختصر .
غده خلف أمسه
وحناياه للتهرؤ والقِيءِ مشتلٌ ،
كادت الأرض تجفل
حين همّت بلمسه .

زمن الشمس في خطاه جليدٌ محجّر
والثواني تفسّخت عبثاً لا يُفسّر
في ينابيع حدسه .

قلبه خيط سنبل
واختلاجاته قصب
رُبّ جفنين من حطب
رفرفا عبر هجسه :
لا تقل مات يأسه

نبضه سرَّ يأسه .

- ٥٢ -

بعد الموت ،
لا صوت يجسّد لي صوتي .

- ٥٣ -

أتفهمني وأنا كالحياة عميقٌ بعيدٌ؟
وكيف تحقّقت أني أحبّ وأنني أريدُ
وفي رغبتني للرياح مقرُّ وقطبُ
وفوق لساني حديدٌ؟
أتفهمني؟ لون عينيّ شمسُ
ولونُ خطايَ جليدُ .

- ٥٤ -

أطعم الأيامَ زندكُ ،
تكبير الأشياءِ بعدك .

- ٥٥ -

أعمقُ ما يفسّر الأرضا
حشرة المرضي .

- ٥٦ -

أجبيءُ مع الناس للكونِ حلماً
وأذهبُ حلماً
وحسبي ، أضيفُ لهذا الوجودِ
صباحاً ، ورقةَ جَنَحِينِ ، واسماً .

- ٥٧ -

هُوذا ، يرفض أن يرقى
إلاً حرقاً ،
فيه نارٌ لا تخبو
فيه القلبُ .

- ٥٨ -

نوافذُ من الدموع هاجرتُ
وجبلُ من الزنودِ غائرُ
يرصدُّه الهواءُ والصنوبرُ الحزينُ ، كلَّ لحظةٍ
وتينةٌ عتيقةٌ
جفونها من البكاء التصقت بساقها
والصمتُ سنٌ إبرَ النسيجِ :
خاطَ كفنَ الطيورِ
صار جرساً من الحُفَرِ .

خُيِّلَ لي كأنني

أسمعُ لغوَ طفلةٍ تسمّرت على السرير كُفُّها

وعَلِقَتْ جفونُها بنَاطِرٍ تحسبه فراشةً

أو كرةً أو لعبةً لم تلمح السماءُ مثل لونها .

خُيِّلَ لي كأنني في سهرٍ وفي سمرٍ

أجلس مع سيدةٍ تظنني حفيدَها

تأسرنا بالقصص الغريب كل ليلة :

«جَنِيَّةُ المِياه في غلالةٍ من الدجى

تبدو لنا شرارةً أو شبحاً

تحبُّنا ، تأخذنا لأرضها ،

تلبسنا ثيابها الرحيّة ، الخفيّة الخيوط .

وحارسُ القطيع في تلاله

تقتله الذئابُ أو يقتلُها .

والفارس الجميلُ في هجومه

يقضي على غريمه بلفتةٍ

وينخطفُ الحبيبةَ الحلوة من خبائها .

خُيِّلَ لي كأنني

أمسكُ شعَرَ الزمنِ المسافر الذي عبَّرَ

أجلده أعيده نوافذاً

وطفلةً صغيرةً وجدّةً

وأستعيد ما غَبَرَ .

— ٥٩ —

عِشْ أَلَقَاً وابتكر قصيدةً وامضِ :
زدْ سَعَةَ الأَرْضِ .

(1957-1955)

قصيدة إله الغريبة

أَسْأَلُ مَاذَا أَكْتُبُ
لزوجتي الغريبة - العاشقة الصَّغيرة
وورقي ، إذا حضرتُ ، يهربُ
وريشتي في طَرْفِ الجزيره
حمامةٌ تلتهبُ .
أَسْأَلُ مَاذَا أَكْتُبُ؟
غريبةٌ
أجفانها سلالِمٌ وجُدُرٌ
غريبةٌ لأنَّها تحبُّ غيرَ نفسها
لأنَّها تحيا لجارِ بائسٍ
لطفلةٍ شريده ،
لأنَّها ، الأعمى تقود خطوهُ
تفرشُ عينيها له
غريبةٌ لأنَّها تبدلُ كلَّ مقصَله
بسنبلة .
لأنَّها تحترقُ

لكي تجيء الطُّرُق .

أعرف أنَّ حَلَمَهَا يطولُ
أعرف أنَّ شَعْرَهَا يطولُ
أعرف أن سرَّهَا يطولُ
أعرفها...

تختصرُ الأرض بخطوتين
تختصرُ الكونَ بلفتين .
أعرف أن بيتها ينتظرُ
ويسهرُ
وأنه التجربة الصَّميمةُ
الطَّالعةُ ، الآن ، غدا
وأنه الحب الذي يبتكر
ويسهرُ

أسألُ ماذا أنشدُ
لزوجتي ، لهذه الوالدة الخالقة الحبَّ على مثالها ،
أسألُ ماذا أنشدُ
والحرفُ كم يُقيّدُ
كم يجهلُ الشعورُ في المفاصلِ المرهقةِ المرهقةِ
التي ترى ما لا يُرى ، التي

تدلّ الصّبح كيف يُشرقُ
والشيءَ كيف ينطقُ
أسأل ماذا أنشدُ
لزوجتي لغدها المناضلِ
والحرف كم يُقيّدُ
كم يجهل الشعور في المفاصلِ .

لها ، هُنا النوافذ ، الوسادةُ الكتابُ والمجامرُ العتيقةُ الراسمةُ
الأفقَ بقوس قزحٍ
بالفرح ،
تنتظرُ
وتسهرُ
مثلي ، مثل بيتها تنتظرُ
وتسهرُ .

(بيروت 1956/12/4)

من الذاكرة

- ١ -

... كم نَفَضْنَا عن أغانينا الكآبه
وملأنا الأفقَ أجفاناً ، وصَبَحْنَا : يا سَحابه
أمطرينا ،
نحن ذاك الموسمُ المنتظرُ
والزَّهرُ ،
غافلينَا ،
وافتحي قُرْبَتَكَ المَلأى وصَبَّيْهَا علينا
يا سَحابه
يا التي جاءت من البحر إلينا .

- ٢ -

... في النّهر جَرِينَا
كالقصبَاتُ
صِرْنَا حَبِيباً ، صِرْنَا ماءً وتَحَفَّيْنَا
في أحضان الجنّيات .

... في الأعياد
أشعلنا الشمع وصلينا
وتمنينا
فرأينا الله بلا ميعاد .

كلمات لليأس

حين يُواخي صمتها المنزل :
لا عشب ، لا قُبْرَة ، لا ندى ،
تفتح أهدابها
تفتح شبّاكها
للشمس . . . لكن ، قبلها ، تدخل
فراشة محروقة أو صدى .

الأطفال

في غبار الصَّلواتُ
غرق الفجر وماتُ
لكنّ الأطفالُ
نبعٌ يحمل وجه الشمس
من أمواج الأمس
في شلال .

اللوحة الأولى

عند بيتنا يطلع النهارُ
وجهه طابَةٌ في يد الصَّغار
وفي شفاة المدينة
جرَسٌ للعويلِ
من ثلاثين جيلٍ :
— «منسمي عمّنا
اللي بياخذ أمّنا» .
— «بس الحالة ما بتنطاق...» .

— «يا لله... الدهر دولاب» .

ضاع وجه المدينه

في فراغ ذليل .

وبكاء الأطفال

يفتح باب الفجر

وبكاء الأطفال

مطر الأرض وقود العُمر .

اللوحة الثانية

لو جرحنا الصلوات

وغسلنا بدماء الكلمات

فجر الأطفال ،

لو كفرنا

ودفنا الماضي في سِروال

باسم الأطفال .

في القدم الحافية الصغيرة

خمس مسامير ورقصتان

والدرب شبّاك على جزيره

حدودها الجراح والأغاني .

والشارع يوم لا يحيا

إلا نعشاً أو وحياً :

– «الله الحي الباقي . . .»

– «عفوك عفوك يا الله» .

والكفن الأبيض في الطريق

والكفن الأبيض في التراب

والكفن الأبيض كالغراب .

يا ليت . . . لو نفيق

لو جرحنا الصلوات

وغسلنا بدماء الكلمات

فجر الأطفال .

سبعين جيلاً نطمس الطريق

نركض في سواه

– «ما البيت ، ما الجباه؟»

– «كهفان من وحل ومن صقيع» .

لكن الأطفال

روح تجري صوب الله

وتقول : تعال

ألحي قبور يا الله

ألحي رمال .

وغداً في البيت

يُبَدِّلُ وَجْهَ الْمَيِّتِ
بِسَرِيرٍ أَوْ سِرْوَالٍ
لِلْأَطْفَالِ .

اللوحة الثالثة

— «رورو ابن السنونة السوداء
أجا الصَّبَحِ سَلِّمْ عَلَيَّ وَطَارَ
يا رورو لوين بتروح؟
جبلي معك شقفة من السَّما
تطير فيها هُون . . .»

ويطير الأطفال
خلف غزالٍ أَوْ خَيَّالٍ
وينامون
بين الأنجم في سِرْوَالٍ .
وهناك عيونٌ
تَيْبَسُ فِي حُلُمٍ مَجْنُونٍ :

— مَنْ هَا هُنَا؟
— لَا ضَوْءَ لَا سِتَارَ
فِي الْغُرْفَةِ الْمَلِيئَةِ
بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ،
لَمْ يَبْقَ إِلَّا سَاعَةٌ بِطَيْئِهِ .

— مَنْ هَا هُنَا؟

وتوقّفنا
وتسوّلنا . . .
كان المطعم ذنباً يَسْكُرُ
وتمزّقنا .

— مَنْ هَا هُنَا؟

وانكسرت في نبعنا الجرارُ .
وليس في دروبنا المليئه
بالوعد والصّخورُ
إلا مفاتيح من البخور
لقفص الخطيئه .

غرق الفجر وماتُ
في غبار الصلوات .
لكن...
لكن في التّخمينُ
في خطرات البالُ
يصعدُ من آبار الطّينُ
وجه الأطفال .

(بيروت ، 1958)

مزامير الإله الضائع

- ١ -

هذا الجسدُ
سحرٌ أغوى الأرضا
ألا ترضى
ولهيبُ تشة لا يبتدُ ، -
من أطفال الجسدِ الأبدُ .
فيه تُغرسُ ، فيه تُقطفُ
فيه ما لا يُعرفُ ، يُعرفُ .
معبدٌ قلبي ، معبدٌ شعري ، معبدٌ عمري
أعصابي فيه تُوقد مثل بخور الكاهنِ ، مثل الجمرِ :
آه نداء الكاهنِ آه ندائي
يصعدُ يصعدُ حتّى وجه القمر الآخر ، حتّى أبعدُ .

- ٢ -

فخذاك لذائدُ حُمائيّة
لم تُكشَفْ ، لم تُعرفْ بعدُ

فيها يسبحُ فيها يعدو
ويُقاسِمُها كلَّ ثنيةٍ
ليلُ الغابات الوحشيةِ
فخذاكِ وبينهما تنمو
أغراسُ الجنسِ البحريةِ
في كلِّ تويجٍ سنفونيةٍ
فخذاكِ وبينهما القُبْلُ
والعشاقُ السُّمرُ الأولُ
والأبطالُ
وفتوحاتُ
فخذاكِ ، وبينهما الأجيالُ
شيءٌ يُحْضَنُ ، يُعْشَقُ يُعْبَدُ ، كيف يُقالُ؟

عَرِّي فخذيكِ ، أزيحي التَّينَ
يُسْقِيقُ نَبْعٌ ، يُفْتَحُ أَفْقُ
وتنصرُ أقماراً حتى الخِرْقُ .

يا شهدي ، يا شهدَ الشهوه
يا أرضاً تُجْنِي في خلوه
يا قَبَّه
فيها كلُّ نَجِيٍّ يَشْهَدُ رَبَّهُ .

يا قصرأ يعلو تحت الزُّغَب
في أحشائك تيهٌ يجرفُ رَمْلَ التَّعَبِ
في أحشائك أحيا موج الجنسِ ، أكابدُ سورةَ مدَّةٍ
أردُ العالمَ في لاحدّه .
في أحشائك أعرف أوقن أن الآتي
سرُّ حياتي .
فيكِ أصورُ أبداع ، أغلى أثاري
أوضح أعتَم أسراري ،
فيكِ أنشئُ ، فيكِ أحققُ أن الله
لا يتناهى .

— ٤ —

حقّواك مرافئُ ، والنَّهْدانُ تُخومُ سُمُرُ فوق البصر
منحوتان بلفح الشرر ،
وعلى الشرّة ، كلّ حدودِ الشهوةِ
كلّ الشهوةِ فترُ
أكثر من أرقام الفكر
وأصغر أضيقُ منها الفكرُ .
هذا الجسدُ
فيه يحيا الميتُ
والثورة تحيا والرفضُ

ويقول الأباكم : غَنِيْتُ
وله ينمو ، ينمو العدَدُ
وتدور الأرضُ .
نامي ، زندي وُلِدَ الآنَ ،
وقلبي مثل الطفل يصيحُ
نامي تتلقَّفُكَ الرِّيحُ
تعصفُ ، تهدأُ ، تأتي تمضي
مثلَ الومض .
نامي في أحشائي نارٌ فيها وَخْزُ
أنت وجودي أنت الرَّمْزُ .
يا كلَّ حياتي يا إيذاناً
بوجودي أن يتعمَّقَ غيبه
يا شمساً تخنق تحرق ربه
يا مجهولي ، نامي ، أن مسيري نحو الله
الضائع ، أن وصولي .

(بيروت ، 1956)

القافلة

تَصْعَدُ فِي سَفِينَةِ النَّسَاءِ
تَصْعَدُ فِي مَعْرَاجٍ
لَا أَرْضَ لَا سَمَاءَ
تَسْأَلُهَا ، مَنْ أَيْنَ؟
قَافِلَةٌ مِنْ جِثْثِ الْأَمْوَاجِ
لَا شَيْءَ لَا إِلَهَ
يَسْأَلُهَا ، مَنْ أَيْنَ؟
تَكْتُبُ فَوْقَ الصَّخَرِ:
«حِينَ يَمُوتَ الْبَحْرُ
يُبْعَثُ فِي نَهْدَيْنِ» .

— «لِيَقِفْ ، وَلِيَبْقَ خَلْفَ الْعَتَبَةِ
هو لا يقدر أن يعبرها ،
إن بيتي غابة ملتهبه
وهو لن يجرو — لن يعبرها» .

خاف من ظل على تاريخه
تركته روحه المغتربه
خاف أن يذكرها
حفرت أمس على تابوته
كلمات ...
هو أوصانا لكي نحفرها :
«مات كي يقدر أن يذكرها» .

أغاني مهيار الدمشقي

(1961-1960)

«لماذا لا تكفينني أيتها الشمسُ الجميلة؟»

وفجأةً يأتي ، يسقط علينا الموقظُ
الغريبُ
الصّوتُ الذي يخلق النّاس .

هولديرلين

فارس الكلمات الفريية

مزمور

يُقبل أعزل كالغابة وكالغيم لا يُردّ ، وأمس حملَ قارّة ونقل البحر من مكانه .

يرسم قفا النهار . يصنع من قدميه نهراً ويستعير حذاء الليل ثم ينتظر ما لا يأتي . إنه فيزياء الأشياء — يعرفها ويسمّيها بأسماء لا يبوح بها . إنه الواقع ونقيضه ، الحياة وغيرها .

حيث يصير الحجر بحيرة والظلّ مدينةً ، يحيا — يحيا ويضلّل اليأس ، ماحياً فسحة الأمل ، راقصاً للتراب كي يتشاءب ، وللشجر كي ينام .

وها هو يُعلن تقاطع الأطراف ، ناقشاً على جبين عصرنا علامة السّحر . يملأ الحياة ولا يراه أحد . يُصير الحياة زبداً ويغوص فيه . يحول الغد إلى طريدةٍ ويعدو يائساً وراءها . محفورةً كلماته في اتجاه الضياع الضياع . والحيرة وطنه ، لكنه مليءٌ بالعيون .

يُرعب ويُنعش

يرشح فاجعٌ ويفيض سُخريةً

يَقشر الإنسان كالبصلة .

إنه الريح لا ترجع القهقري والماء لا يعود إلى منبعه . يخلق نوعه بدءاً من نفسه — لا أسلاف له وفي خطواته جذوره .
يمشي في الهاوية وله قامة الريح .

ليس نجماً

ليس نجماً ليس إحياء نبيّ
ليس وجهاً خاشعاً للقمر -
هوذا يأتي كرمح وثنيّ
غازياً أرض الحروف
نازفاً - يرفع للشمس نزيقة ؛
هوذا يلبس عُريّ الحجر
ويصلّي للكهوف

هوذا يحتضن الأرض الخفيفة .

ملك مهيار

مَلِكُ مَهْيَارٍ
مَلِكُ وَالْحُلُمُ لَهُ قَصْرٌ وَحْدَائِقُ نَارُ
وَالْيَوْمَ شِكَاةٌ لِلْكَلِمَاتِ
صَوْتُ مَاتٍ ؛
مَلِكُ مَهْيَارٍ
يَحْيَا فِي مَلَكُوتِ الرِّيحِ
وَيَمْلِكُ فِي أَرْضِ الْأَسْرَارِ .

موت

مهيأُ وجهُ خانهُ عاشقوه
مهيأُ أجراسُ بلا رنينُ
مهيأُ مكتوبُ على الوجوه
أغنيةُ تزورنا خلسةً
في طُرقٍ بيضاءٍ منفيةً ،
مهيأُ ناقوسُ من التائهينُ
في هذه الأرضِ الجليلية .

صوت آخر

ضَيِّعَ خَيْطَ الأشياءِ وانطفأتْ
نَجْمَةٌ إحساسه وما عثرا
حتى إذا صار خطوهُ حَجَرًا
وَقُورَتْ وجنتاهُ مِنْ مَلَلٍ ،
جَمَعَ أشلاءَهُ على مَهَلٍ ،
جَمَعَهَا للحياةِ ، وانتثرا .

تولد عیناه

في الصخرة المجنونة الدائرة
تبحث عن سيزيف ،
تولد عیناه ،

تولد عیناه
في الأعين المطفأة الحائرة
تسأل عن أريان ،
تولد عیناه
في سفر يسيل كالنزيف
من جثة المكان ،
في عالم يلبس وجه الموت
لا لغة تعبّره لا صوت —
تولد عیناه .

الأيام

تعبت عيناهُ من الأيام
تعبت عيناهُ بلا أيام
هل يثقب جُدران الأيام
يبحثُ عن يومٍ آخرُ -

أهنا أهْنا لك يومٌ آخرُ؟

دعوة للموت

(أصوات)

يضرُّبنا مهيارٌ
يخرقُ فينا قشرة الحياة
والصبرَ والملاحِ الوديعةُ ،
فاستسلمي للرَّعبِ والفجيعة
يا أرضنا يا زوجة الإله والطغاةُ
واستسلمي للنارَ .

صوت

يَهْبِطُ بَيْنَ الْمَجَازِيفِ بَيْنَ الصَّخُورِ
يَتَلَقَى مَعَ التَّائِهِينَ
فِي جِرَارِ الْعِرَاسِ
فِي وَشُوشَاتِ الْمَحَارِ؛
يُعلنُ بَعَثَ الْجُذُورِ
بَعَثَ أَعْرَاسِنَا وَالْمَرَافِقِ وَالْمُنْشِدِينَ -
يُعلنُ بَعَثَ الْبَحَارِ.

قناع الأغنيات

باسم تاريخه في بلاد الوحول
يأكلُ ، حين يجوع ، جبينه
ويموتُ وتجهلُ كيف يموتُ الفصول
خلف هذا القناع الطويل
من الأغنيات .

إنه البذرة الأمانة
إنه ساكن في قرار الحياة .

مدينة الأنصار

- ١ -

لاقيه يا مدينة الأنصار
بالشوك ، أو لاقيه بالحجار
وعلّقي يديه
قوساً يمرّ القبر
من تحتها ، وتوجي صدغيه
بالوشم أو بالجمر -
وليحترق مهيار .

- ٢ -

أكثر من زيتونة ونهر
ونسمة تروح أو تجيء
أكثر من جزيرة وغابه
أكثر من سحابة
تركض في طريقه البطيء
تقرأ ، في سريرها ، كتابه .

العهد الجديد

يجهلُ أن يتكلّم هذا الكلامُ
يجهلُ صوت البراري ،
إنه كاهنٌ حجريُّ النعاسُ
إنه مُثَقِّلٌ باللغات البعيدة .

هوذا يتقدّم تحت الركّام
في مناخ الحروف الجديدة
مانحاً شعره للرياح الكثيبه
خشناً ساحراً كالنحاس .

إنه لغةٌ تتموّج بين الصواري
إنه فارس الكلمات الغريبة .

بين الصدى والنداء

بين الصدى والنداء يختبئُ
تحت صقيع الحروف يختبئُ
في لهفة التآهين يختبئُ
في الموج ، بين الأصدا ف يختبئُ ،

و حينما يُغلق الصباحُ على
عينيه أبوابه وينطفئُ ،
يُلجئُ مصباحه إلى جبلٍ
ضيّعه يأسُه ، ويلتجئُ .

الجرس

النَّخِيلُ انحنى
والنَّهَارُ انحنى والمساءُ —
إنه مُقْبِلٌ ، إنه مُثْلُنَا ؛
غير أنَّ السَّماءُ
رفعت بِاسْمِهِ سَقْفَهَا الممطرا
ودنتْ كي تُدَلِّي
وجهه ، فوقنا ، جرساً أخضرا .

آخر السماء

يَحْلُم أن يرميَ عينيه في
قرارة المدينة الآتية
يحلُم أن يرقص في الهاوية
يَحْلُم أن يجهلَ أيامه الآكلةَ الأشياءِ
أيامه الخالقةَ الأشياءِ ؛
يحلُم أن ينهضَ أن يَنهَارُ
كالبحرِ - أن يستعجلَ الأسرارَ
مُبْتَدِئاً سماءَه في آخر السماء .

وجه مهيار

وجهُ مهيار ناز
تُحرقُ أرضُ النجوم الأليفه ،
هوذا يتخطى تخوم الخليفه
رافعاً بترق الأفول
هادماً كلّ دار ؛
هوذا يرقض الإمامه
تاركاً يأسه علامه
فوق وجه الفصول .

الحيرة

(أصوات)

لأنه يحار
علّمنا أن نقرأ الغبار
لأنه يحار
مرّت على بحارنا سحابة
من ناره من عطش الأجيال .

لأنه يحار
أعطى لنا الخيال
أقلامه ، أعطى لنا كتابه .

ينام فيها يديه

يمدّ راحتيه
للوطن الميّتِ للشوارع الخرساءُ
وحينما يلتصقُ الموتُ بناظره
يلبسُ جلدَ الأرض والأشياء
ينامُ في يديه .

يحمل في عينيه

يأخذُ من عينيه
لأُلاءَ؛ من آخر الأيام والرياح
شرارةً؛ يأخذ من يديه
من جُزُرِ الأمطارِ
جبلةً ويخلق الصباحَ .

أعرفه - يحملُ في عينيه
نُبوّةَ البحارِ
سَمّانيَ التاريخَ والقصيدةَ
الغاسلةَ المكانَ ،

أعرفه - سَمّانيَ الطوفانَ .

توأم النهار

أَلَّيْلُ أَبْوَابٍ وَسَاحِرَاتٍ
فِي رَتْتِيْ مَهْيَارٍ
فِي وَجْهِهِ الْأَصْفَرِ فِي يَدَيْهِ .
مُتٌ مِثْلُنَا ضَعُ مَعْنَا يَا أَدَمَ الْحَيَاةِ
أَبْحِرْ بِنَا إِلَيَّ
نَشْتَاقُهُ نَحْيَا لَهُ - مَهْيَارٍ
تَوَأْمُنَا وَتَوَأْمُ النَّهَارِ .

الآخرون

عرف الآخرينُ
فرمى صخره فوقهم واستدارُ
حاملاً غُرَّةَ النهارِ
والسنينَ التي تُهرولُ عُذْرِيَّةَ الجنينِ .
وجههُ عالقٌ بالحدود الغربية
ينحني فوقها ويضيءُ ؛
حيث لا يلتقي بسواه يجيءُ
حيث لا يلمح الآخرين استدارُ
حاملاً غُرَّةَ النهارِ
ماحياً صَفْحَةَ السماء القريبة .

البربريا القديم

ذاك مهيار قديسك البربري
يا بلاد الرؤى والحنين ،
حامل جبهتي لا بس شفتي
ضدّ هذا الزمان الصغير على التائهين .

ذاك مهيار قديسك البربري -
تحت أظفاره دمّ وإله ؛
إنه الخالق الشقي
إنّ أحبابه من رأوه وتاهوا .

مزمور

أحمل هاويتي وأمشي . أطمس الدروب التي تتناهى ؛ أفتح الدروب
الطويلة كالهواء والتراب — خالقاً من خطواتي أعداءً لي ، أعداءً في
مستواي . وسادتي الهاوية والخرائب شفيعتني .

إنني الموت ، حقاً .

التأبين صيغتي — أمحو وانتظر من يمحوني . لا شذوذ في دُخاني
وسخري . هكذا أعيش في ذاكرة الهواء .

أكتشف نبرةً لعصرنا وغمّة —

عصرٌ يتفتت كالرمل يتلاحم كالتوتياء ؛ عصر السحاب المسمّى قطيعاً
والصفائح المسمّاة أدمغة . عصر الخضوع والسراب ، عصر الدّمية والفزاعة ،
عصر اللحظة الشرهة ، عصر انحدارٍ لا قرار له .

ولا شريانٍ عندي لهذا العصر — إنني مُبعثرٌ ولا شيء يجمعني .

أخلق شهوةً كلّهاث التنين .

أعيشُ خفيةً في أحضان شمسٍ تأتي . أحتمي بطفولة الليل تاركاً
رأسي فوق ركبة الصباح . أخرجُ وأكتب أسفار الخروج ولا ميعاد ينتظرني .

إنني نبيُّ وشكَّاك .

أعجن خميرة السقوط ، أترك الماضي في سقوطه وأختار نفسي . أفلطحُ
العصر وأصفِّحه ، أناديه - أيها العملاق المسخَّ أيها المسخ العملاق
وأضحك وأبكي .

إنني حجةٌ ضد العصر .

أمحو الآثار والبقع في داخلي . أغسل داخلي وأبقيه فارغاً ونظيفاً .
هكذا تحت نفسي أحيأ .

بالنزيف تتغذى عُروقي ولا مكان لي بين الموتى . الحياةُ ضحيَّةٌ ولا
أعرف أن أموت - إنَّ زمانِي خفيُّ وتحت العيون ، وأمس دخلت في طقس
الموج وكان الماء لهيبي .

إنني عَجولٌ والموتُ يتبعني حاشداً رياحه بين عيني . أضحك معه
وأبكي في رقة الهدب - آه الموتُ المهرَّجُ الموتُ الباكي .

أعرف أنني في شَرخ الموت ، أبتطن القبرَ وأخنجنُ كلماتي ، لكنني
حيٌّ - يعرف هذا غيري ،

أهجم وأستأصل ، أعبر وأزدري . حيث أعبر يسقطُ شلالُ عالم آخر ،
وحيث أعبر الموتُ واللاً ممرٌ ،

وسأبقى ؛ فأنا مُسيِّجٌ بنفسِي .

الجرم

1

ألورقُ النَّائمِ تحتَ الرِّيحِ
سفينةٌ للجرحِ
والزَّمنُ الهالكُ مجدُّ الجرحِ
والشَّجرُ الطالعُ في أهدابنا
بحيرةٌ للجرحِ .
والجرحُ في الجسورِ
حين يطولُ القبرُ
حين يطولُ الصُّبرُ
بين ضيفافِ حَبْنَا وموتِنَا ، والجرحُ
إيماءٌ والجرحُ في العبورِ .

2

للغةِ المخنوقةِ الأجراسِ
أمنح صوتَ الجُرحِ
للحَجَرِ المقبلِ من بعيدٍ

للعالم اليابس لليباس

للمحكمة :قاعة الجلس

أشعل نار الجرح ؛
و حينما يحترق التاريخ في ثيابي
وتنبت الأظافر الزرقاء في كتابي
و حينما أصبحُ بالنهار -
من أنت ، من يرميك في دفاتري
في أرضيَ البتول ؟
ألمح في دفاتري في أرضيَ البتول
عينين من غبار
أسمع من يقول :
«أنا هو الجرح الذي يصيرُ
يكبر في تاريخك الصغير» .

3

سميتُك السحابُ
يا جرحُ يا يمامة الرحيلُ
سميتُك الريشة والكتابُ
وها أنا أبتدئُ الحوارُ
بيني وبين اللغة العريقة
في جُزر الأسفار

في أرخبيل السَّقْطَةِ العريقه
وها أنا أعلم الحوَّارَ
للريح والنخيل
يا جرحُ يا يمامة الرحيل .

4

لو كان لي في وطن الأحلام والمرايا
مرافقٌ ، لو كان لي سفينة
لو أن لي بقايا
مدينة لو أن لي مدينه
في وطن الأطفال والبكاء ،
لَصَغْتُ هذا كله للجرح
أغنية كالرمح
تخترق الأشجار والحجار والسماء
لينة كالماء
جامحة مذهولة كالفتح .

5

أمطرُ على صحرائنا
يا عالماً مزيناً بالحلم والحنين
أمطرُ ، ولكن هُزَّنَا ، نحن ، نخيل الجرح

واكسر لنا عُصْنين
من شَجَرٍ يعشق صمت الجرح
مقوَّس الأهداب واليدين .
يا عالماً مزيناً بالحلم والحنين
يا عالماً يسقط في جبينني
مرتسماً كالجرح
لا تقترب ، أقربُ منك الجرح
لا تُغرِني ، أجملُ منك الجرح
وذلك السحر الذي رمتهُ
عيناك في الممالك الأخيرة
مرَّ عليه الجرح
مرَّ فلم يترك له شراعاً
يُغوي ، ولم يترك له جزيره .

مات إله ...

مات إلهٌ كان من هُناكَ
يهبط ، من جمجمة السماء .
لَرُبِّما في الذعر والهلاكُ
في اليأس في المتاه
يصعد من أعماقي الإله ؛
لَرُبِّما ، فالأرض لي سريرٌ وزوجةٌ
والعالم انحناءٌ .

الضياع

أضيعُ ، أرمي للضحى وجهي وللغبار
أرميه للجنون
عيناي من عُشبٍ ومن حريقٍ
عيناي راياتٍ وراحلون .

أضيعُ أرمي للضحى وجهي وللغبار
أولد في نهاية الطريق
أصرخ - فليصرخ معي الطريق والغبار :

أَللهُ ، ما أجمل ما يضيع بي وجهي وأن أضيعُ
ممتلئاً بالنار ،
يا قبر يا نهايتي في أول الربيع .

حجر

أعشق هذا الحجر الوادعا
رأيتُ وجهي في تقاطيعه
رأيتُ فيه شعري الضائعا .

السقوط

أعيش بين النار والطاعون
مع لغتي - مع هذه العوالم الخرساء
أعيش في حديقة التفاح والسماء
في الفرحة الأول والقنوط
بين يدي حواء -
سيد ذلك الشجر الملعون
وسيد الثمار؛

أعيش بين الغيم والشرار
في حجر يكبر ، في كتاب
يعلم الأسرار والسقوط .

حوار

— «من أنت ، من تختارُ يا مهيأ؟
أنتى اتجهت ، اللهُ أو هاوية الشيطانُ
هاويةٌ تذهب أو هاويةٌ تَجِيءُ
والعالم اختيارٌ» .
— «لا الله أختار ولا الشيطانُ
كلاهما جدارُ
كلاهما يُغلق لي عينيَّ —
هل أبذل الجدار بالجدار
وحيرتي حيرة من يُضيءُ
حيرةٌ من يعرف كلَّ شيءٍ...» .

لغة الخطيئة

أحرق ميراثي ، أقول أرضي
يَكُرُّ ، ولا قبورَ في شبابي
أعبر فوقَ الله والشيطانُ
دربي أنا أبعدُ من دروب
الإله والشيطانُ -

أعبر في كتابي
في موكب الصاعقة المضيئة
في موكب الصاعقة الخضراء
أهتفُ - لا جنّة لا سقوط بعدي
وأمحو لغة الخطيئة .

ملك الرياح

طَرَفٌ رايَتي لا تُؤاخي ولا تتلاقى
طَرَفٌ أغنياَتي .
ها أنا أحشد الزهور وأستنفر الشجر
وأمدُّ السماء رواقاً
وأحب وأحيا وأولدُ في كَلِماتي
ها أنا أجمع الفراشات تحت لواء الصباح
وأربي الثمار
وأبيت أنا والمطر
في الغيوم وأجراسِها ، في البحار ؛
ها أنا أشرع النجوم وأرسي
وأُنصَبُ نفسي
مَلِكاً للرياح .

الصخرة

رضيتُ بما شئتِه : أغنياتي
خبزي ومملكتي كلماتي -
فيا صخرتي أثقلي خطواتي
حملتك فجراً على كتفي ،
رسمتك رؤيا على قسماتي .

هاوية

أقبل في هاويةٍ أجهل أن أراها
أخاف أن أراها ،
أقبل في هاويةٍ مليئةٍ
بفرحةِ المنبئِ والنذيرِ ،
فرحة أن تصيرَ
أغنيّتي أغنيّةً سواها
تقود هذا العالمَ الضريّرَ —
فرحة أن أصيرَ
خطيئةً ،
وخاطئاً يحيا بلا خطيئته .

لِيَا أُسْرَارِيَا ...

لِيَا أُسْرَارِي لَا مَشِي
فَوْقَ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ
لِيَا أُسْرَارِي لِأَحْيَا
تَحْتَ أَهْدَابِ إِلَهٍ لَا يَمُوتُ .
عَاشِقُ أُسْكُنْ فِي وَجْهِي وَصَوْتِي -
لِيَا أُسْرَارِي لِيَأْتِي
لِيَا نَسْلٌ بَعْدَ مَوْتِي .

لم ترني عيناك

لم ترني عيناك
بكراً كماء النطفة الخالقة
لم ترني أقبل من هناك
في موكب الندور
وفي خطاي العشب والصاعقه .
غداً غداً في النار والربيع
تعرف أنني حاضن البدور ،
غداً غداً توقن بي عيناك .

– «أين كنت؟
أي ضوءٍ تحت أهدابك يبكي؟
أين كنت؟
أرني . ماذا كتبت؟» .
لم أجبها . لم أكن أعرف كلمه
فأنا مزقت أوراقى لأني
لم أجد تحت غيوم الحبر نجمه .
– «أي ضوءٍ تحت أهدابك يبكي؟
أين كنت؟» .
لم أجبها . كانت الليلة كوخاً
بدوياً ، والمصاييح قبيله
وأنا شمسٌ نحيله
تحتها غيّرت الأرض رباها
والتقى التائه بالدرب الطويله .

الحضور

أفتح باباً على الأرض ، أشعل نار الحضور
في الغيوم التي تتعكس أو تتوالى .
في المحيط وأمواجه العاشقه
في الجبال وغاباتها ، في الصخور ،
خالقاً لليالي الحُبالي
وطناً من رماد الجذور
من حقول الأغاني من الرعد والصّاعقه ،
حارقاً مومياء العصور .

الأيام السبعة

أيها الأمّ التي تسخرُ
من حبي ومقتي ،
أنتِ في سبعة أيام خلقتِ
فخلقتِ الموجَ والأفقَ
وريشَ الأغنية
وأنا أيامي السبعة جرحٌ وغرابٌ
فلماذا الأحجية
وأنا مثلكِ ريحٌ وترابٌ؟

أورفيوس

عاشقٌ أَدخِرَج في عَتَمَات الجَحِيمِ
حَجَرًا ، غَيْر أَنِّي أَضِيءُ
إِنَّ لِي مَوْعِدًا مَعَ الْكَاهِنَاتِ
فِي سِرِيرِ الْإِلَهِ الْقَدِيمِ
كَلِمَاتِي رِيَّاحٌ تَهْزُ الْحَيَاةَ
وِغَنَائِي شَرَارٌ .
إِنِّي لَغَنَاءٌ لِإِلَهِ يَجِيءُ
إِنِّي سَاحِرُ الْغُبَارِ .

أرض السحر

لم يبقَ - لا ثأر ولا خُصومة
بيني وبين حارس الأيام ،
كُلُّ مضي ، سيجَّ بالغمام
تاريخه ، كُلُّ رأى تخومة -

ولم تزل أرضي أرض السحر :
أغالطُ الهواء
أجرحُ وجه الماء
أخرجُ من قنينة في البحر .

تَقْنَعِي بِالْخَشَبِ الْمَحْرُوقِ
يا بَابِلَ الْخَرِيقِ وَالْأَسْرَارِ ،
أَنْتَظِرُ اللَّهَ الَّذِي يَجِيءُ
مُكْتَسِباً بِالنَّارِ
مُزِيناً بِاللُّؤْلُؤِ الْمَسْرُوقِ
مِنْ رِثَةِ الْبَحْرِ مِنَ الْمَحَارِ ؛
أَنْتَظِرُ اللَّهَ الَّذِي يَحَارُ
يَغْضَبُ بِيكِي يَنْحَنِي يُضَيِّعُ -
وَجْهَكَ يَا مَهْيَا
يُنْبِئُ بِاللَّهِ الَّذِي يَجِيءُ .

سفر ...

سأسافرُ في موجةٍ في جناحٍ
سأزور العصور التي هجرتنا
والسماءَ الهَلَامِيَّةَ السابعةَ ،
وأزور الشفاه
والعيونَ المليئةَ بالثلج ، والشفرةَ اللامعة
في جحيمِ الإله ؛
سأغيب ، سأحزم صدري
وأربطهُ بالرياحِ
وبعيداً سأتركُ خطويَ في مفرقٍ ،
في متاهةٍ ...

اترك لنا وراءك

إمضِ ابتعدْ واحتضنِ الأمواج والهواء
واحملْ على أهدابك السحابَ والبروقَ
ولتنكسرْ وراءكُ
مرآتنا ، ولتنكسرْ قارورة السنين ؛
واترك لنا وراءك
لا . لا تدغْ وراءكُ
غيرَ بقايا حَسرةٍ وطينٍ
غيرَ الدمِ الياس في العروق ؛
أه ، ابتعدْ . مهلك ، لا .
أوشكتَ أن تغيبَ
فأتركْ لنا وراءكُ
عينيكَ أو جُثَّتكَ السَّمراء أو رداءكُ
قصيدةً للعالم الغريبِ
للعالم الآتي مع الحنينِ
يحملُ في أهدابه سَماءكُ .

أسلمت أيامي ...

أسلمتُ أيامي لهاويةٍ
تعلو وتهبط تحت مركبتي
وحفرتُ في عيني مقبرتي ،
أنا سيّد الأشباح أمنحُها
جنسي وأمسٍ منحتُها لغتي
وبكيتُ للتاريخ منهزماً
مُتعثراً يَكبو على شفتي
وبكيت للرب الذي احترقتُ
أشجاره الخضراء في رثتي ؛
أنا سيّد الأشباح أوقظُها
وأسوقها بدمي وحنجرتي
الشمس قُبْرَةٌ رميتُ لها
أنشوطتي والريح قَبْعَتِي .

جسر الدمع

ثَمَّةُ جَسْرٍ مِنَ الدَّمْعِ يَمْشِي مَعِي
يَتَكَسَّرُ تَحْتَ جَفَوْنِي
ثَمَّةٌ فِي جِلْدِي الْخَزَفِيِّ
فَارِسٌ لِلطُّفُولِ
يَرْبِطُ أَفْرَاسَهُ بِظِلِّ الْغُصُونِ
بِحِبَالِ الرِّيحِ
وَيَغْنِي لَنَا بِصَوْتِ نَبِيٍّ :
«أَيَّهْذِي الرِّيحُ
أَيَّهْذِي الطُّفُولُ
يَا جَسُوراً مِنَ الدَّمْعِ
مَكْسُورَةً وَرَاءَ الْجَفَوْنَ» .

لا حد لي ...

لِدربيّ اللابسةِ الأمواجِ والجبالِ
لوجهيّ المليءِ بالأصداءِ
أطقاتُ آلاف الشموعِ البيضِ في السماءِ ؛
قلتُ لآسنانيّ للأظافر الزرقاءِ
لينيّ معي واستسلمي للموج والهديرِ
قلتُ لها أن تقطعَ الحبال
بينني وبين الشاطئ الأخيرِ -
لا حدّ لي لا شاطئٍ أخيرِ .

السدود

دائماً يُقرأ الضحى ويُعادُ
دائماً هذه المغاورُ تحت الجلدِ
هذي السدودُ والانقاضُ
دائماً هذه التكايا
دائماً هذه المقابرُ تحت الهدبِ
هذي الأشلاءُ هذي الضحايا
من أغاتيكَ ، حيث لا أرضَ في وجهك
لا رقصةً ولا ميلادُ ،
دائماً في عروقك الإجهاضُ -
لكَ في القِشرِ نجمةٌ ، لك في الصخرِ تراثُ
وفي النهارِ بلادُ ،
يا أميرَ الفراغِ يا لغةً تفرغُ فيها الرياحُ والأبعادُ .

الأرض الوحيدة

أسكنُ في هذه الكلماتِ الشريده
وأعيش ووجهي رفيقٌ لوجهي
ووجهي طريقي ،
باسمك يا أرضي التي تتناولُ
مسحورةً وحيدة
باسمك يا موتُ يا صديقي .

أمنية

لو أرزّة من شَجَر الأعماق والسنينِ
تفتّح لي أحضانها ، لو أنها تقيني
غواية اللؤلؤ والشراع ،

لو أنّ لي جذورها ووجهي
يرسو وراء قشرها الحزين ،
إذن ، لَصِرتُ الغيمَ والشعاعَ
في الأفق - هذا البلد الأمين .

لكنني أحيا وكلّ عُصنٍ
في شجر الأعماق والسنينِ
نارٌ على جبيني
نارٌ من الحمى من الضياءِ
تلتهمُ الأرضَ التي تقيني .

قلت لكم ...

قلت لكم أصغيتُ للبحار
تقرأ لي أشعارها ؛ أصغيتُ
للجرس النائم في المحار ؛
قلت لكم غثيتُ
في عُرس الشيطان ، في وليمة الخرافة ؛
قلت لكم رأيتُ
في مطر التاريخ ، في توهج المسافة
جنّةً وبيت ؛
لأنني أبحر في عيني
قلت لكم رأيتُ كلَّ شيءٍ
في الخطوة الأولى من المسافة .

الهزيمة

أصهركِ الآن يا أغاني
غيماً ومرثيةً وديمه
أمزج بالنعمة الجريمة
ناسجاً راية التراب
والضحي برماح الهزيمة .

ألسحرُ والنارُ والوليمه
مملكتي ، والضبابُ
جيشي ، والعالمُ الهزيمة .

يكفيك أن ترى

(أصوات)

يكفيك أن ترى

يكفيك أن تموتَ من بعيدُ

أن تحضنَ الذُّرى .

لا صمتَ في عينيكَ لا كلامَ

كأنك الدخانُ

جلدك يساقطُ في مكانُ

وأنتَ في مكانَ –

يكفيك أن تعيشَ في المتاه

مُنْهزماً أخرسَ كالمسمازُ

لن تلمحَ الله على الجباه ؛

يكفيك يا مهيارُ

أن تكتنم السرَّ الذي مَحاهُ .

يكفيك أن ترى

يكفيك أن تموتَ من بعيدُ .

الكوسيا

(حلم)

مِنْ زَمَنٍ صرختُ بالمدينه :
يا قشرَةَ العالم في يَدَيَّ .
من زمنٍ تَمَتَّتْ للسفينه —
أُغْنِيَتِي في اللهبِ الوردي :
أَكَلْتُ أو لا شيء .

تعبتُ يا أحفادي الصغارُ
مني ، من البحارُ ،
هاتوا لي الكرسيَّ .

المصباح

يحمل في رابعة النهار
مصباحه يبحث عن إنسان
لا رمل في عينيه ،
يسير في خُفٍّ من الغبار
ينام في برميل
ملتحفاً كفيه .

— وأنت ، ماذا؟
— ليس لي عينان .
بيني وبين إخوتي قابيل
بيني وبين الآخر الطوفان .

حين ينام الليل والنهار
أغافلُ السفاخ
أمشي ويمشي خلفي الغبار ،
لكنني أمشي بلا مصباح .

أبحثُ عن أوديس

أشرد في مغاور الكبريتُ
أعانقُ الشرارُ
أفاجئُ الأسرارُ
في غيمة البخور في أظافر العفريتُ –

أبحثُ عن أوديس
لعله يرفع لي أيامه معراجُ
لعله يقول لي ، يقولُ ما تجهله الأمواج ...

البلاد القديمة

أَسْلَمْتُ لِلصَّخُورِ وَالْأَصْدَاءِ
رَايَاتِي الْمَخْنُوقَةَ النَّدَاءِ ؛
أَسْلَمْتُهَا لِقَلْعَةِ الْغُبَارِ
لِكِبْرِيَاءِ الرِّفْضِ وَالْهَزِيمَةِ
لَمْ يَبْقَ لِي إِلَّا كِ يا بِلَادِي الْقَدِيمَةِ -
أَيَّتَهَا الْأَسْرَارُ .

أرض بلا معاد

حتى ولو رجعتَ يا أوديسُ
حتى ولو ضاقت بك الأبعادُ
واحترق الدليلُ
في وجهك الفاجع
أو في رعبك الأنيسُ ،
تظلّ تاريخاً من الرحيلُ
تظلّ في أرضٍ بلا ميعادُ ،
تظلّ في أرضٍ بلا معادُ ،
حتى ولو رجعتَ يا أوديس .

اليوم لي لغتي

هدمتُ مملكتي
هدمتُ عرشي وساحاتي وأروقتي
ورحتُ أبحتُ محمولاً على رثتي
أعلم البحر أمطاري وأمنحه
ناري ومجمرتي
وأكتب الزمنَ الآتي على شفتي ؛

واليوم لي لغتي
ولي تخومي ولي أرضي ولي سِمتي
ولي شعوبي تغذيني بحيرتها
وتستضيءُ بأنقاضي وأجنحتي .

الأرض

كم قلت : لي بلادي الثانيه
وامتلأت كفاك بالدموع
بالبرق من تخومها الآتية ،
هل عرفت عيناك أن الأرض
أنى بكت أو هلكت خطاك
هنا ، كما غنيت أو هناك
تعرف كل عابر سواك
وأثنا واحدة
يابسة الأحشاء والضروع
وأثنا تجهل طقس الرقص ؛
هل أيقنت عيناك
أنت أنت الأرض ؟

لغة للمسافة

أمسٍ تحت المحاجر سافرتُ تحت الغبار
فسمعتُ صدادنا
وسمعتُ انهيارَ الحدودُ

ورجعتُ ، وقيل نسيْتُ هنالك ،
من دهشةٍ ، خُطواتي
خطواتي؟ بلى ، وكأني أراها
خُرَّةً تَتَنَقَّلُ بين الشرايين بين الرئاتِ
وتطوف الحنايا وتنقادُ
مذهولةً أو تحارُ
في ثنايا الخواصر في الجلد
في هُوةٍ لا تراها
وكأني أراها
بعد هذا تعودُ .

ستمرّ ، ولن تلمحوا ، خُطواتي
بيننا لغةً للمسافة يجهل ألفاظها سوانا .

البرق

أوماً لي برقٌ بكى ونام
في غابة الظنون
يجهل من أكون
يجهل أنني سيد الظلام ؛
أوماً لي برقٌ بكى ونام
نام على يديّ
منذ رأى عينيّ .

ظلي وظل الأرض

إقتربي أيتها السماء واستريحي
في قبري الضيق ،
في جيني الفسيح
وابقي بلا وجه ولا يدين
ودونما حشرة أو نبض
وارتسمي شخصين -
ظلي وظل الأرض .

أوديس

— «مَنْ أَنْتَ ، مَنْ أَيَّ الذَّرَى أَتَيْتَ
يا لَغَةً عَذْرَاءَ لَا يَعْرِفُهَا سِوَاكَ .
مَا اسْمُكَ — أَيَّ رَايَةٍ حَمَلْتَ أَوْ رَمَيْتَ؟» .
تَسْأَلُ ، أَلْكِينُوسُ؟
تُرِيدُ أَنْ تَكْشِفَ وَجْهَ الْمَيِّتِ
تَسْأَلُ مَنْ أَيَّ الذَّرَى أَتَيْتَ
تَسْأَلُ مَا اسْمِي — اسْمِي أَنَا أَوْدِيسُ
أَجِيءُ مِنْ أَرْضٍ بِلَا حَدُودٍ
مَحْمُولَةٌ فَوْقَ ظُهُورِ النَّاسِ ؛
ضَعْتُ هُنَا وَضَعْتُ مَعَ قِصَائِلِي هُنَاكَ
وَهَا أَنَا فِي الرِّعْبِ وَالْيَبَاسِ
أَجْهَلُ أَنْ أَبْقَى وَأَنْ أَعُودَ .

الإله الميت

أول النهار أنا وآخر من يأتي - أضع وجهي على فوهة البرق وأقول
للحلم أن يكون خبزي .

أرفع الفراشة بيرقاً أكتب عليه أسمائي .

شجرةٌ تغيّر اسمها وتأتي إليّ ، حجر يغتسلُ بصوتي ، سهلٌ يكتسي
بأوراقي - هذه جيوشي وسلاحي العشب .

أنقش وجهي على الرّيح والحجر ، أنقش وجهي على الماء ، أسكن
الأفق ، وعلى جبيني قناعٌ من الموج .

أتجه نحو البعيد والبعيد يبقى . هكذا لا أصل ، ولكنني أضيء . إنني
بعيد والبعيد وطني .

أخلق وطناً صديقاً كالدمع .

الذين يلغمون قشرة العالم ، المليثون كالجمر ، الذين يُتأخمون الأفق ،
الذين يتفياون ظل الفراشات ،

هؤلاء سميتهم بأسمائي . أنا الراكض والآلهة سياجٌ حولي أخطفها
وأغزوها وحين أجسّها ألبس المآتم قُفازاً . أنا الساكن في أصداف الحلم ،

معلنًا إنسانَ الداخل — انظر وراءك يا أورفيوس ، تعلّم كيف تسير في
العالم ،—

أعلن طوفانَ الرّفص ،

أعلن سِفْرَ تكوينه .

أحاور الكهوف ، أصيّر الجبال كلماتٍ وأمّوسق الحُفَر ، أراقص الأثير
وأحمّل الحجر أشواقِي إلى الأرض . أكتب رقيةً لأيامي وأكسر عذّادَ
الوقت . أغرس مسافاتي بالأشلاء وأترك للأبعاد أن تقودني .

مرآة الحجر

عارياً تحت نخيل الآلهة ،
لابساً رمل السنين
كنتُ ألهو باحتضاري
كنتُ أبني ملكوت الآخرين
بغباري .

يا نبيّ الكلمات التائهة
يا نبيّ السفر الآتي إلينا
في رياح المطر
أنا واليأسُ عرفنا أنك الآتي إلينا
وعرفناك نبياً يُحتَضَرُ
فانحنينا

وهتَفنا : «أيّها الآتي إلينا
ضائعاً يقطر نفياً وحريقاً
نحن نرضاك إلهاً وصديقاً
في مرايا الحجر» .
يا نبيّ السفرِ

أنا أرضاك إلهاً ورفيقاً
في مرايا الحجر .
باسمك اليوم أغني للغيوم
وسأبني بين قلبي والقضاء
عند أطراف النجوم
حاجزاً يلبس وجه البشر
والسماء ،
وأغني للغيوم —
حجرٌ وجهي ولن أعشق غير الحجر .

الأغنية

خرسَاءُ أو مخنوقةَ الحروفِ
أو لا صوتُ
أو لغةٌ تحت أنين الأرضِ ،
أغنيّتي للموتِ
للفرح المريضِ في الأشياءِ للأشياءِ
أغنيّتي للرفضِ
يا كلمات الرعب والدواءِ
يا كلمات الداءِ .

لمرة واحدة

لِمَرَّةٍ واحدةٍ لِمَرَّةٍ أخيره
أحلم أن أسقط في المكان -
أعيش في جزيرة الألوان
أعيش كالإنسان
أصالح الآلهة العمياء والآلهة البصيرة
لِمَرَّةٍ أخيره .

الأرض الثانية

ها أنا في طريقي إلى أرضي الثانية
ومعي رايتي ورياحي ،
والنهار يموت
ساحباً خلفه عَرَبَات الأضاحي
ساحباً خلفه البيوت .

اعتراف

ليس إلا جثة الليل وأشلاء يدي
في تقاطيع النهار
ليس إلا حَجَرٌ تحت الجفون
أه كم صليتُ للربّ الحرون
للثمار
أه كم أطعمتُ عيني لجوع الشجره
ولكم سرتُ على أهدايي المنكسره
للقاء - لعناقٍ وثني
أنا والله وأنقاض النهار .

صلاة ...

صَلَّيْتُ أَنْ تَظِلَّ فِي الرَّمَادِ
صَلَّيْتُ أَلَّا تَلْمَحَ النَّهَارَ أَوْ تُفَيِّقَ -
لَمْ نَخْتَبِرْ لَيْلَكَ ، لَمْ نُبْحَرْ مَعَ السَّوَادِ ؛
صَلَّيْتُ يَا فَيْنِيْقُ
أَنْ يَهْدَأَ السَّخَرُ وَأَنْ يَكُونَ
مَوْعِدُنَا فِي النَّارِ فِي الرَّمَادِ ،
صَلَّيْتُ أَنْ يَقُودَنَا الْجَنُونُ .

المسافر

مسافرٌ تركتُ وجهي على
زجاج قنديلي
خريطتي أرضٌ بلا خالقٍ
والرفضُ إنجيلي .

الصّاعقة

أيتها الصّاعقة الخضراء
يا زوجتي في الشّمس والجنون ،
الصّخرة انهارت على الجفون
فغيري خريطة الأشياء .

جئتكَ من أرضٍ بلا سماء
ممتلئاً بالله والهاوية
مجنّحاً بالريّح والنسور ،
أقتحمُ الرمل على البذور
وأنحني للغَيمة الآتية ،
فغيري خريطة الأشياء
يا صورتي في الشمس والجنون
أيتها الصّاعقة الخضراء .

بعد السكوت

أصرخُ بعد السكوت الذي لا يُغامرُ فيه الكلامُ
أصرخُ مَنْ منكم يراني
يا بقايا بلا قامّةٍ يا بقايا تموتُ
تحت هذا السكوتُ .
أصرخُ كي تتوالدَ في صوتي الرياحُ
كي يصيرَ الصباحُ
لغةً في دمي وأغاني .
أصرخُ : مَنْ منكم يراني
تحت هذا السكوت الذي لا يُغامرُ فيه الكلامُ ،
أصرخُ كي أتيقنَ أنني وحدي - أنا والظلامُ .

الذئب الإلهي

الضّحيّ محترق الوجه شريدٌ
وأنا موتُ القمرِ
تحت وجهي جرسُ الليل انكسرَ،
وأنا الذئبُ الإلهيُّ الجديدُ.

قدم الأطفال

أعطي لك المارد والدخان
يا فرساً شهباء
نُطعمها الصبيّر والزوّان .
أعطي لك الرياح والأبواب
أعطي لك الألعاب
والحلّم والدفاتر الصّفراء
والحرف والكتابه
في عُرف الحكمة والأمثال ،
يا شمسُ يا جنيّة الشلال والسحابه
يا قدّم الأطفال .

حجر الصاعقة

إنني حجرُ الصاعقة
والإلهُ الذي يتلاقى مع المفرق الضائع
وأنا الراية العالقه
بجفون السحاب المشرّد والمطر الفاجع ؛
وأنا التائه الذي يتقدم سيلاً ونارا
مازجاً بالسماء الغبارا ؛
وأنا لهجةُ البرق والصاعقه .

تائه الوجه ...

تائه الوجه - أصلي لغباري
وأغني روعي المغتربة
والى معجزة لم تكتمل ،
أتخطى عالماً تحرقه
أغنياتي وأمد العتبه .

أَخْلَقَ أَرْضاً

أَخْلَقَ أَرْضاً تَتَوَرَّعُ مَعِيَ وَتَخُونُ
أَخْلَقَ أَرْضاً تَجَسَّسُهَا بِعُرُوقِي
وَرَسَمْتُ سَمَاوَاتِهَا بِرُعْدِي
وَزَيَّنْتُهَا بِبُرُوقِي ،
حَدَّهَا صَاعِقُ وَمَوْجُ
وَرَايَاتُهَا الْجَفُونَ .

الخيانة

آه يا نعمة الخيانة -
أيها العالم الذي يتناول في خطواتي
هُوةً وحريقه
أيها الجثة العريقة ،
أيها العالم الذي خنته وأخونته .
أنا ذاك الغريق الذي تصلي جفونهُ
لهدير المياه ،
وأنا ذلك الإله -
الإله الذي سيُبارك أرضَ الجريمه .

إنني خائنٌ أبيع حياتي
للطريق الرّجيمه ،
إنني سيّد الخيانة .

لصدفة

خُفْتُ؟ غَيْرَ وَجْهَكَ المنهزما
أيها الشيطان يا مركبتي فوق النجوم .
أنا لا أخشى الطريقَ الأبكما
إنني ريحٌ سَمومٌ
إنني كالصدّفة :
تحت وجهي خُفرت مقبرتي .

أهجر الأحلامَ في أهدابك المرتجفه
وابقى في خُنْجرتي ،
أيها الشيطان يا مركبتي تحت النجوم .

الإله الميت

اليومَ حَرَقْتُ سَرَابَ السَّبْتِ سَرَابَ الْجُمُعَةِ
اليومَ طَرَحْتُ قَنَاعَ الْبَيْتِ
وبَدَلْتُ إِلَهَ الْحَجَرِ الْأَعْمَى وَإِلَهَ الْأَيَّامِ السَّبْعَةِ
بِإِلَهٍ مَيِّتٍ .

قربان

في كهوفِ العذابِ العتيقُ
حيث كنتُ أحبُّ الإله
أحب نساء القصورُ
حيث عشنا أنا والجنون الصديقُ ،
ضِعتُ بينَ الشهورُ
فعبرتُ المفازة
وتركت ورائي الطريق .
باسم ربٍ يخطُّ كتابه
في كهوفِ العذابِ العتيقُ ،
أرفعُ هذا الحريقُ
وأضحّي ذُبابَه ؛
باسم تلك الشموس التي تتقدّمُ
أبدأ هذي الجنّازة .

إلى سيزيف

أقسمتُ أن أكتبَ فوق الماءِ
أقسمتُ أن أحملَ مع سيزيفِ
صخرته الصماءَ .

أقسمتُ أن أظلَّ مع سيزيفِ
أخضعُ للحُمَى وللشرارِ
أبحثُ في المحاجر الضريرة
عن ريشةٍ أخيره
تكتبُ للعشب وللخريفِ
قصيدةَ الغبارِ .

أقسمتُ أن أعيشَ مع سيزيفِ .

إله يحب شقاءه

لِلإله الذي يتمزّقُ
في خُطواتي -
أنا مهيار هذا الرّجيمُ ،
أرفع الميّتين ذبيحة
وأصلّي صلاة الذّئاب الجريحه .
غيرَ أنّ القبور التي تتشاءبُ
في كلماتي
خَصَنْتُ أغنياتي
بإله يُزيح الحجارةَ عَنَّا ،
يُحبّ شقاءه
ويُبارك حتّى الجحيمُ
فيصلّي معي صلواتي
ويردّ لوجه الحياة البراءة .

مشهد

(حلم)

كأنما تَسْتَنطقُ الصاعقة الحجارُ
تحاكم الصاعقة السماءُ
تحاكم الأشياءُ
كأنما يَغْتسلُ التاريخُ في عينيَّ
وتسقط الأيامُ في يديَّ
تسقط كالثمارٍ . . .

رياح الجنون

صدئتُ عَرَبَاتُ النهارِ
صدئُ الفارسُ .
إنني مقبلٌ من هناكُ
من بلادِ الجذورِ العقيمةُ ،
فرسي برعمٌ يابسُ
وطريقي حصارُ .
ما لكم ، ما لكم تسخرون؟
اهربوا فأنا من هناكُ
جئتكم ، فلبستُ الجريمة
وحملتُ إليكم رياحَ الجنونِ .

ليس لك اختيار

ماذا ، إذن تهدم وجه الأرض
ترسم وجهاً آخرًا سواه ؛
ماذا إذن ليس لك اختيار
غير طريق النار
غير جحيم الرفض -
حين تكون الأرض
مقصلةً خرساء أو إله .

إرم ذات العماد

مزمور

ألهو مع بلادي ؛

ألمح مستقبلها آتياً في أهداب النعامة . أداعب تاريخها وأيامها وأسقط
عليها صخرة وصاعقة . وفي الطرف الآخر من النهار أبدأ تاريخها .

غريبٌ عنكم أنا وفي الطرف الآخر . أسكن بلاداً خاصةً بي ، وفي النوم
واليقظة أفتح برعماً وأعيش فيه .

ثمة حاجةٌ لأن يُولد شيءٌ ما ، لذلك أفتح للبرق مغاراتٍ تحت جلدي
وأبني أعشاشاً . ثمة حاجةٌ لأن أعبر كالرعد في الشفاه الحزينة كالقش ،
بين الحجر والخريف ، بين المسام والبشرة ، بين الفخذ والفخذ .

لهذا أغني : «تقدّم يا شكلاً يليق باحتضارنا» .

لهذا أصرخ وأغني : «من يعطينا أمومة الفضاء ، من يغذيّنا بالموت؟» .

أتقدم صوب نفسي وصوب الأنقاض . تأخذني سكّنة الفجعية - قصيرٌ
لأحيط بالأرض كالحبل ، ولست حاداً كما ينبغي لأغوص في وجه
التاريخ .

تريدون أن أكون مثلكم . تطبخونني في قدر صلواتكم ؛ تمزجونني

بحساء العساكر وفلفل الطاغية ، ثم تنصبونني خيمةً للوالي وترفعون
جمجمتي بيقاً -

آه يا موتي ،

مع ذلك أجري نحوك ، أركض أركض أركض إليك .

يفصلكم عني بعد بحجم السراب .

أهيج الضباع فيكم وأهيج الآلهة . أزرع فيكم الفتنة وأرضع الحمى ، ثم
أعلمكم أن تسيروا بلا دليل . إنني قُطِبٌ في استواءاتكم وربيعٌ يمشي .
إنني ارتجاجٌ في حناجركم ، وفي كلماتكم نزيهٌ مني .

تتقدمون كالبرص نحوي ، أنا المربوط بترابكم . لكن لا شيء يجمع
بيننا وكل شيء يفصلنا - فلا تحترق وحيداً ، ولا عبر بينكم رمحاً من
الضوء .

لا أستطيع أن أحيا معكم ، لا أستطيع أن أحيا إلا معكم . أنتم تموج
في حواسي ولا مهرب لي منكم . لكن اصبروا - البحر ، البحر لكن علقوا
فوق عتباتكم خرز الشمس .

افتحوا ذاكرتي ، تبينوا وجهي تحت كلماتها وتبينوا حروفي . حين ترون
الزبد ينسج لحمي والحجر سائلاً في دمي ، ترونني .

مُغلقٌ كجذع شجرة ، حاضِرٌ ولا أُقبَضُ كالهواء . هكذا لا أستطيع أن
أستسلم لكم .

وُلدت في محاجر الليلك ، نشأت في مدار البروق ، وأسكن بين الضوء

والعُشب . أعصف وأصحو ، ألمع وأغيم ، وأمطر وأثلج — الساعات لغتي
وبلاديّ النهار .

(الناس نيامٌ فإذا ماتوا انتبهوا) أو كما قيل ؛ أنتم نيامٌ ، فإذا انتبهتم
مثم ، أو كما سيُقال .

أنتم وسخٌ على زجاج نوافذي ويجب أن أمحوكم ، أنا الصباح الآتي
والخريطة التي ترسم نفسها ؛

مع ذلك ، في أحشائي حُمى تسهر عليكم ،
مع ذلك أنتظركم .

في صدَف الليل على البحر ،
في تَهَادُرِ اللَّجَّة ،

في الثقوب التي تملأ جُبَّةَ الفلك ،
في العُتَاب والأكاسيا ،

في الصنوبر والأرز ،

في بطانة الموج — في الملح
أنتظركم .

ألمح بين الكتب الذليلة
في القبة الصفراء
مدينة مثقوبة تطير
ألمح جدراناً من الحرير
ونجمة قتيله
تسبح في قارورة خضراء .
ألمح تمثالاً من الدموع
من خزف الأشلاء والركوع
في حضرة الأمير .

المدينة

(أصوات)

— «للدخان انحنى للدخان

هي عوامة الرياح .

وجهها ضفدع ولها إصبعان

لن تمس قرون الربيع

لن تحس بنهر الصباح .

إنها بركة القطيع —

وجهها واحد ولها سرتان» .

براءة

أَتَّهَمُ الْأَشْبَاحَ
أَتَّهَمُ الرِّخَّ الَّذِي يَبْيِضُ
فِي كَتِفِ الْجَنِّيَّةِ الْعَمِيَاءِ ؛

أَتَّهَمُ الرِّيحَ
وَالشَّمْعَ وَالدَّجَاجَةَ الْخُرْسَاءَ ؛

أَتَّهَمُ الثَّعْبَانَ ذَا الْجَنَاحِ
يَا لِلْجَنَاحِ الْأَبْرَصِ الْمَهِيضِ ؛

أَتَّهَمُ الْأَشْجَارَ وَالْمِيَاهَ —
فَأَنْتِ يَا سَمَاءَنَا الْمَضِيئَةَ
يَا زَوْجَةَ السُّلْطَانِ وَالْإِلَهَ
بَرِيئَةً مِنْ دَمِنَا بَرِيئَةً .

لَنَا ، لَنَا شِفَاهُنَا الْمَلِيئَةُ
بِالْعَالَمِ الْغَيْبِيِّ ؛
لَنَا بَقَايَا الْجُثَثِ الْمَضِيئَةِ
وَأَوَّلِ الطَّرِيقِ وَالْمَحْرَقَةِ ؛
لَنَا ، لَنَا سُقُوطُنَا الْخَفِيِّ
مِنْ شُرَفَاتِ الْجَنَّةِ الْمُغْلَقَةِ ،
يَا سَحَرُ يَا تَعْوِيذَةُ هَنِيئِهِ
نَرْسُمُهَا كَفَّارَةً وَتَخْتًا
مُزَاهِقًا لِأَرْضِنَا الْبَغْيِيَّ .

رقية

أنتَ بلا شريانٍ
جلدك يحيا وحده يدورُ
يغور في دوامة القشور ،
جلدك يحيا يابساً عريانُ ؛
جلدك مطّاط من الكلام
يعيش منقوشاً على البيوت
بالرمل والرخام ؛

آتية أيامك الجرباءُ
في بؤبؤي جرادة عمياء ،
آتية في جلد عنكبوت .

الجثتان

دفنتُ في أحشائكِ الذليله
في الرأس والعينين واليدينُ
مُثدنةً ، دفنتُ جثَّتَيْنِ -
الأرضَ والسماءَ ،

أيتها القبيله
يا رَحِمَ الزَّيزان يا طاحونة الهواء .

العصر الذهبي

– «جُرَّةُ يا شُرْطِيَّ . . .»
– «سيدي أعرف أن المقصلةُ
بانتظاري
غير أنني شاعرٌ أعبد ناري
وأحبُّ الجلجلةُ» .

– «جُرَّةُ يا شُرْطِيَّ
قل له إن حذاء الشرطيَّ
هو من وجهك أجملُ» .

آه يا عصرَ الحذاء الذهبيَّ
أنت أغلى أنتَ أجملُ .

الأشياء

لو أنني أخترقُ الجرحَ إلى الجريمة
لو أنني أموه الرايات والجنون ،
لكأن لي قبعة الإخفاء
لكنْتُ في النصر وفي الهزيمة
أقتحمُ الحلمَ على الجفون
أكون في الأرض ولا أكون .

لكنني ربطتُ بالأشياء
وجهي وأعماقي والإله ،
رضيتُ أن أحيأ بلا تميمه
أن أرسم الحياه
بالموت والسراب والأشياء -
رضيتُ أن أحيأ مع الأشياء .

تزيني بالرمل

تزيني بالرمل والذئابُ
يا امرأةَ الرِّيحِ الدمشقيةُ ،
لا قمرٌ عندي ولا ثيابُ
لكتني جرؤْتُ أن أنامُ
في وجهك الميِّت كالخليجُ
في وجهك المنذور للنَّشيجُ
يا لغةً ترسو بلا تحيةً
في مرِّفاً الكلامُ
يا امرأةَ الرِّيحِ الدمشقيةُ .

المدينة

أَلْشَّمُوعُ انْطَفَأَتْ فَوْقَ جَبِينِي
أَلْشَّمُوعُ اشْتَعَلَتْ فَوْقَ الْمَدِينَةِ
وَالْمَدِينَةِ
رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ الضُّوءَ جَبِينَهُ .
وَالْمَدِينَةِ
حَجَرٌ يَنَآيَ وَأَشْلَاءُ سَفِينَهُ .

قد تصير بلادي

ها أنا أتسلّق أصدع فوق صباح بلادي
فوق أنقاضها وذراها
ها أنا أتخلّص من ثقل الموت فيها
ها أنا أتغرّب عنها
لأراها ،
فغداً قد تصير بلادي .

لأرضي

لأرضي أجرح هذه العروق الرجيمه
لأرضي خبأت بين جراحي
غدي ورياحي ،
وأرضي مخمورة – كتفاها
أميران من لؤلؤ ، وجريمه .

غبطة الجنون

هدمتُ قصرَ الرَّمَلِ في العيونِ
مَنَحْتُ للتكَايَا
مِجَامِرَ الأَفْيُونِ -
مِجَامِرَ الأَفْيُونِ والسَّجَادِ والمَرَايَا ؛
رَجَمْتُ وَجْهَ الصَّبْرِ والقَبُولِ
رَقَصْتُ للأَفُولِ
لِجَنَّةِ الإِلَهِ -
بِاسْمِكَ يَا سَحَابَةَ الأَجْرَاسِ
يَا عُرْسَ الأَنْقَاضِ واليَبَاسِ
يَا بُقْعَ الرَّغْبِ عَلَى الجِبَاهِ .

وطن

لِلْجُوهِ الَّتِي تَتَبَّسُّ تَحْتَ قَنَاعِ الْكَأْبِ
أُنْحِنِي ؛ لِدُرُوبِ نَسِيْتُ عَلَيْهَا دُمُوعِي
لَأَبٍ مَاتَ أَخْضَرًا كَالسَّحَابِ
وَعَلَى وَجْهِهِ شَرَاخُ
أُنْحِنِي ؛ وَلِطْفَلٍ يُبَاعُ
كَيْ يُصَلِّيَ وَكَيْ يَمْسَحَ الْأَحْذِيَةَ -
كَلْنَا فِي بِلَادِي نَصَلِّيَ كَلْنَا نَمْسَحُ الْأَحْذِيَةَ
وَلِصَخَرٍ نَقَشَتْ عَلَيْهِ بِجُوعِي
أَنَّهُ مَطَرٌ يَتَدَحَّرُ تَحْتَ جَفُونِي وَبَرَقُ
وَلِبَيْتٍ نَقَلْتُ مَعِي فِي ضِيَاعِي تُرَابَهُ
أُنْحِنِي - هَذِهِ كُلُّهَا وَطَنِي ، لَا دِمَشْقُ .

الوجه البعيد

حين كسرتُ القِشْرَ والجليدَ
حين قتلتُ القمرَ المغطى بالسَّحر والدخانَ ،
دخلتُ في أغواركِ المضاءة
بالعُشب والبراءة ،
قربتُ وجهَ العالم البعيد .

لستِ على سريري المفروشِ بالجنونَ
رَمْلِيَّةَ النَّعاسِ
لستِ معي قَشًّا ولا يَبَاسَ
يا امرأةَ الآلام والصَّوآنِ
يا أختَ قاسِيونَ .

صوت

أغنى من الرعب
أغنى من التمرّد المقهور
أنتَ ، ومن رعد على الصّحراء ،
يا وطناً مُصمّغاً مكسور
يسير مشلول الخطى قُربي .

رؤيا ...

هربتُ مدينتنا
فركضتُ أستجلي مسالكها
ونظرتُ - لم ألمح سوى الأفقِ
ورأيتُ أن الهارين غداً
والعائدين غداً
جسدٌ أمزقه على ورقِي .

ورأيتُ - كان الغيمُ حُنجرةً
والماءُ جُدراناً من اللهبِ
ورأيتُ خيطاً أصفرأً دبقاً
خيطاً من التاريخ يعلقُ بي
تجتزأيامي وتعقدُها
وتكرها فيه - يدٌ ورثتُ
جنسَ الدُمي وسلالة الخرقِ .

ودخلتُ في طقس الخليقة في

رَحِمَ المِياهِ وَفِتْنَةَ الشَّجَرِ
فَرَأَيْتُ أَشْجَاراً تَرَاوِدُنِي
وَرَأَيْتُ بَيْنَ غُصُونِهَا غُرْفاً
وَأُسْرَةً وَكُوى تُعَانِدُنِي ،
وَرَأَيْتُ أَطْفَالاً قَرَأَتْ لَهُمْ
رَمَلِي ، قَرَأَتْ لَهُمْ
سُورَ الْغَمَامِ وَآيَةَ الْحَجَرِ ؛
وَرَأَيْتُ كَيْفَ يَسَافِرُونَ مَعِي
وَرَأَيْتُ كَيْفَ تُضَيِّءُ خَلْفَهُمْ
بُرْكَ الدَّمُوعِ وَجُثَّةُ الْمَطَرِ .

هَرَبْتُ مَدِينَتُنَا —
مَاذَا أَنَا ، مَاذَا؟ أَسْنِبِلَةٌ
تَبْكِي لِقَبْرَةٍ
مَاتَتْ وَرَاءَ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ
مَاتَتْ وَلَمْ تَكْشِفْ رِسَائِلَهَا
عَنِّي وَلَمْ تَكْتُبْ إِلَيَّ أَحَدٍ ،
وَسَأَلْتُهَا وَرَأَيْتُ جَثَّتْهَا
مَطْرُوحَةً فِي آخِرِ الزَّمَنِ
وَصَرَخْتُ — « يَا صِمْتَ الْجَلِيدِ أَنَا
وَطَنٌ لَغَرَبْتَهَا

وأنا الغريبُ وقبرُها وطني» .

هربت مدينَتُنَا
فرأيتُ كيف تحوَّلت قدَمي
نهرًا يطوف دماً
ومراكباً تنأى وتتَّسعُ
ورأيتُ أن شواطئي غَرَقَ
يُغوي وموجي الريح والبجعُ .

هربت مدينَتُنَا
والرفضُ لؤلؤةٌ مكسرةٌ
ترسو بقاياها على سفُني
والرفضُ حطَّابٌ يعيش على
وجهي - يلملمني ويُشعلني
والرفضُ أبعادٌ تشتتني
فأرى دمي وأرى وراء دمي
موتي يُحاورني ويتبعني .

هربت مدينَتُنَا
فرأيتُ كيف يُضيئني كفني
ورأيتُ - ليت الموت يُمهلني .

عاد شَدَّادُ عادٍ
فارفعوا راية الحنينُ
واتركوا رفضكم إشارة
في طريق السنينُ
فوق هذي الحجارة ،
باسم ذات العماذ .
إنها وطنُ الرافضينُ
الذين يسوقون أعمارهم يائسينُ
كسروا خاتمَ القماقمِ
واستهزأوا بالوعيدِ
بجسور السَّلامه ،
إنها أرضنا وميراثنا الوحيدُ
نحن أبناءها المُنظرينَ ليوم القيامة .

الزمان الصغير

مزمور

أين تنتهي المسافة ، أين يبطل الخوف؟
أنادي الفراغ أفرغ الممتلئ . حتى الصوّان رخوّ ، حتى الرّمْل يتأصّل في
الماء - لماذا الطرق ، لماذا الوصول؟
ضالّ ضالّ ولن أعود . السقوط حالتي وشرطي ، الجنة نقيضي .
إنني عرسٌ وأعلن جاذبية الموت - أنا الغيم ولا يباس عندي ، أنا القفرُ
ولا غيمَ لي .
أختبئُ وراء اللغز ، أختبئُ تحت جُبّة الفصول وأصوص من فتوقها .
أمنح لخطواتي شكلها وأقول للبحر اتبعني .
والشجرَ أوراقٌ في دفاتري والحجرَ قصائدٌ مثلي .
سأكشطُ جلدة الأفق حتى ينزف ويسيل . سأطير بين الجرح والجرح ،
نتقاسم الفضاء ، الموتُ وأنا
نرفع بيرق المجاعة ، الخبزُ وأنا
وغداً أعلق بثوب الخُرَافة وأتسلّق حائط الظلّ . سيعلقُ بي آنذاك موكبٌ
من مزامير الحجر -

آه ، أيها الجنون يا سيدي يا مسيحي .

أبحث عن شمسٍ تُقيم في العيون ، عن عيونٍ ترى الضوء كلَّ الضوء .
أبحث عن جذع شجرةٍ يصير جسداً ، أبحث عما يُعطي للكلمة عضواً
جنسياً ، وعما يثقب السماء .

أبحث عما يُعطي للحجر شفاه الأطفال ، وللتاريخ قوسَ قُزح ، وللأغاني
حناجر الشجر .

أبحث عما يمدُّ التخومَ المتموجة ، التخومَ التي لا تُرى بين البحر
والصخر ، بين السحاب والرمل ، وبين النهار والليل .

أبحث عما يوحد نبراتنا - الله وأنا ، الشيطان وأنا ، العالم وأنا ، وعما
يزرع بيننا الفتنة .

آه ، أيها البحث يا وعائي .

النهار

أَلْنَهَارُ كَسَانَا
بِعِبَائِهِ الْقَدِيمَةِ .
أَلْنَهَارُ يَكَانَا هُنَا وَيَكَانَا هُنَاكَ
فَاتِحاً صَدْرَهُ لِلْهَزِيمَةِ
رَاسِمًا شَارَةَ الْمَلَائِكَةِ
فَوْقَ أَشْلَانِنَا وَخُطَانَا .

طريق

أيّ هذا الطريق الذي يرفض أن يبدأ
نحن وجهه رأى
فأحبّ النهار أحبّ الحضور ،
كان في أرضنا إله نسيناه منذ نأى
وحرقنا وراءه هيكلاً الشمع والندور .
نحن صُغنا من الغياب
صنماً من تراب
ورجمناه بالحضور
بالطريق الذي كاد أن يبدأ ،
أيّ هذا الطريق الذي يجهل أن يبدأ .

لا كلمات بيننا

هل تتركُ الرمالُ أهدابنا
هل يغسلُ الطوفانُ أرضَ القشور؟
تفتتي واحتراقي يا بدور
لا كلماتُ بيننا لا صدَى -
تهلّمت قبل الطريقِ الجسورَ .

وداع

قلنا لك المداء من سنين

يا هالة الملائك الميئين
يا لغة الجرادة الهاربه .

ألكلماتُ احتَقَنْتُ بالوحوْلُ
ألكلماتُ ازيَّنتُ بالمخاضُ –
عادتُ لنا أرحامنا الغائبه
وها هي الأمطارُ والسيولُ
يا لغة الأنقاضُ
يا هالة الملائك الميئين .

موت

نموتُ إن لم نخلق الآلهة
نموتُ إن لم نقتل الآلهة —
يا ملكوت الصخرة التائه .

الرياح المضئية

أَلرياحُ التي تُطفئُ ، الرياحُ المضئيةُ
لم تزل خلقنا بطيئه .
نحن والرعبُ في الطريقُ
بردى بيننا والفراتُ
كم حملناهما في القفارُ
رايةً من غبارٍ وغازُ
وهمسناهما صلاةً —
بردى والفراتُ .
والرياحُ التي تُطفئُ ، الرياحُ المضئيةُ
لم تزل خلقنا بطيئه .

القوقعة

مرّ في أهدابنا وجهُ المدينة
ضائعاً تحت جليد الأتعة
فَهتَفْنَا
نحن نحيا في تجاويف المدينة
كالحلازين وراء القوقعة ،
أيها الرقصُ اكتَشِفْنَا .

أرض الغياب

هي ذي أرض العذاب
لا غَدَّ آتٍ ولا رِيحٌ تُضِيءُ
أيُّ صوتٍ سيجيُّ
يا أحبَّائي في أرض الغياب .

رسالة

أَلْبِلَادُ التي حلمنا بها وفتحنا إليها الطريقُ
أُفْقاً جَرَحَتْهُ الجِفُونُ الخجولةُ ،
أَمْسٍ في كبرياء الجنون الصديقُ
واحتضار الطفولة
أَمْسٍ جُعْنَا لها ورسمنا
صورةً باسمها وهاله
وكتبنا إليها رساله —
أَلْبِلَادُ التي جَرَحَتْهَا الجِفُونُ الخجولة .

التائهون

أيها التائهون الحَيَّارى
الذين يجيئون قبل الطريق ،
الذين يجيئون قبل النداء
باسمكم يتقدّم فجر السماء
ساحراً أخذاً كالحرّيقِ
ولكم أرضنا وجماليّتنا العذارى
ولكم ، في الرياح العنيدة ،
كُتبت هذه القصيدة ،
أيها التائهون الحَيَّارى .

الضياع

الضياعُ الضياعُ ...
الضياعُ يخلّصنا ويقود خطانا
والضياعُ
ألقِ وسواه القناعُ ؛
والضياعُ يوحدنا بسوانا
والضياعُ يعلّق وجه البحارِ
برؤانا
والضياعُ انتظارٌ .

عودة الشمس

أَلْقَدْرُ اهْتَزَّ عَلَى الْبَحَارِ
وَانْكَسَرَتْ خَوَاتِمُ الْخِرَافَةِ
وَهَا هِيَ الْأَغْوَارُ ،
فَاَتْرُكْ لَنَا أَنْ نَزْرَعَ الشَّطْلَانَ بِالْمَحَارِ
أَنْ تُرْسِيَ الْفَلَكَ عَلَى صِنَيْنِ
وَاتْرُكْ لَنَا أَنْ نَصْعَقَ التَّنِينَ
يَا سَيِّدَ الْخِرَافَةِ .

وَحِينَما تَنْتَحِبُ الْأَجْرَاسُ وَالطَّرِيقُ
فِي هَجْرَةِ الشَّمْسِ عَنِ الْمَدِينَةِ
أَيَقْظُ لَنَا ، يَا لَهَبَ الرَّعْدِ عَلَى التَّلَالِ
أَيَقْظُ لَنَا فِينِيقُ —
نَهْتَفُ لِرُؤْيَا نَارِهِ الْحَزِينَةِ
قَبْلَ الضَّحَى وَقَبْلَ أَنْ تُقَالَ
نَحْمِلُ عَيْنِيهِ مَعَ الطَّرِيقِ
فِي عَوْدَةِ الشَّمْسِ إِلَى الْمَدِينَةِ .

الصخرة العاشقة

الرَّحِيلُ انتهى والطريقُ
صخرةٌ عاشقةٌ .

إننا ندفنُ النهارَ القَتِيلُ
إننا نكتسي بريح الفجيعه ،
غير أنا غداً سنهزُّ جذوعَ النخيلِ
وغداً نغسلُ الإلهَ الهزيلِ
بدم الصّاعقه ،
ونمدّ الخيوط الرّقيقه
بين أجفاننا والطريق .

الرايات

أَلْخِيوطُ التي نسجتُها الجذورُ
بين أهدابنا والغبارِ
أثقلتُ بحطامِ النهارِ
أثقلتُ بالجسورِ —
هي راياتُنا في رحيلِ الغُبارِ .

الطوفان

إِذْهَبِي ، لَا تُرِيدُكَ أَنْ تَرْجِعِي يَا حَمَامَةٌ
إِنَّهُمْ أَسْلَمُوا لِحَمْلِهِمْ لِلصَّخُورِ
وَأَنَا — هَا أَنَا أَتَقَدَّمُ نَحْوَ الْقَرَارِ السَّحِيقِ
عَالِقًا بِشَرَاكِ السَّفِينَةِ .
إِنَّ طُوفَانَنَا كَوَكَبٌ لَا يَدُورُ
إِنَّهُ غَامِرٌ عَتِيقٌ —
رَبِّمَا نَتَنَشَّقُّ فِيهِ إِلَهَ لِعَصُورِ الدُّفِينَةِ
فَاذْهَبِي ، لَا نُرِيدُكَ أَنْ تَرْجِعِي يَا حَمَامَةَ .

الزمان الصغير

أَلَسَرَابُ المراثي لنا والنهارُ الضَّرِيرُ
ولنا جَنَّةُ الدَّلِيلِ ،
نحن جيلَ السفينة
نحن أبناء هذا الزمان الصغير .
أَسْلَمْتُنَا البحارُ الأَمِينَةُ
البحارُ التي تُرْتَلُ مرثية الرَّحِيلِ
أَسْلَمْتُنَا إلى المتاهة —

نحن جيلَ الحوار الطَّوِيلِ
بين أنقاضنا والإله .

المدينة

نارُنا تتقدّم نحو المدينة
لتهدّ سريرَ المدينة .
سنهدّ سريرَ المدينة
سنعيشُ ونعبرُ بين السّهام
نحو أرض الشّافية الحائره
خلف ذاك القناع المعلّق بالصخرة الدائره .
حول دوامة الرّعب
حول الصدى والكلام
وسنغسل بطنَ النهار وأمعاءه وجنينه
وسنحرق ذاك الوجود المرقّع باسم المدينة
وسنعكسُ وجهَ الحضورِ
وأرضَ المسافاتِ في ناظر المدينة ؛
نارُنا تتقدّم والعشب يولد في الجمرة الثائره
نارُنا تتقدّم نحو المدينة .

مزمور

أخلق للريّح صدراً وخاصرة وأسند قامتي عليها . أخلق وجهاً للأفق
وأقارن بينه وبين وجهي . أتخذ من الغيوم دفاتري وحبري ، وأغسل الضوء .
للشقائق زينةً أتزيّا بها ، للصنوبرة خصرٌ يضحك لي ، ولا أجد من أحبه
— هل كثيرٌ إذن ، أيها الموت ، أن أحب نفسي؟

أبتكر ماءً لا يرويني . كالهواء أنا ولا شرائع لي — أخلق مناخاً يتقاطع
فيه الجحيم والجنة . أخترع شياطين أخرى وأدخل معها في سباقٍ وفي
رهان .

أكنس العيون في غباري . أتسلّل في ألياف الماضي فاتحاً ذاكرة
الأولين . أنسج ألوانها وألوان الإبر . أتعب وأرتاح في الزرقة — يُشمس تعبني
ويُقمّر في لحظةٍ واحدة .

أطلق سراح الأرض وأسجن السماء ، ثم أسقط كي أظلّ أميناً للضوء ،
كي أجعل العالم غامضاً ، ساحراً ، متغيراً ، خطراً ؛ كي أعلن التخطي .
دمّ الآلهة طرياً على ثيابي . صرخةٌ نورسٍ تصعدُ بين أوراقِي —
فلأحمل كلماتي ولأُمضِ ...

سفر

مُسافرّ دونما حراكٍ :
يا شمس ، من أين لي خطاكِ ؟

طُرف العالم

ما هَمَّني الممكنُ - أفرحَ أو أَلَمُ ،
ففي تراتيلي
أبدع إنجيلي
أبحث عن مَنجَبٍ
عن عالمٍ يَبْدَأُ
في طَرفِ العالمِ .

آدم

وَشَوْشَنِي آدَمَ
بِغَصَّةِ الْآهِ
بِالصَّمْتِ بِالْأَنَّةِ -
«لَسْتُ أَبَ الْعَالَمِ
لَمْ أَلْمَحِ الْجَنَّةِ
خُذْنِي إِلَى اللَّهِ» .

جزيرة الحجر

حول خطاي تبتكر
جزيرة من الحجر
من الشرر -
أواجها مقيمة
وشطها على سقر .

ريشة الغراب

1

آتِ بلا زهرٍ ولا حقولٍ
آتِ بلا فصولٍ ؛
لا شيءَ لي في الرَّمْلِ في الرِّيحِ
في روعة الصَّبَّاحِ
إلا دَمٌ فتِيّ
يجري مع السماءِ
والأرضِ في جبينِي النبيّ
رَفٌّ عصافيرٍ بلا انتهاء .

آتِ بلا زهرٍ ولا حقولٍ
وفي دمي نبعٌ من الغبارِ ؛
أعيش في عينيّ
أكل من عينيّ -
أحيا ، أسوقُ العمرَ في انتظارٍ
سفينةٍ تعانقُ الوجودَ

تغوص للقراز
كأنها تحلم أو تحار
كأنها تمضي ولا تعود .

2

في سَرَطان الصَّمْتِ في الحصار
أكتب أشعاري على التراب
بريشة الغراب ،
أعرف ، لا ضوء على جفوني -
لا شيء ، إلا حكمة الغبار
أجلس في المقهى مع النهار
مع خشب الكرسي
وعقب اللقافة المرمي
أجلس في انتظار
موعدي المنسي .

3

أريد أن أجنو أن أصلي
للبومة المكسورة الجناح
للجمر للرياح ،
أريد أن أصلي

للكوكب المشدوه في السماء
للموت للوباء ،
أريد أن أحرقَ في بخوري
أياميَ البيضَ وأغنيايَ
ودفتري والحبر والدواة
أريدُ أن أصليَ
لأيِّ شيءٍ يجهل الصلاة .

4

بيروتُ لم تظهر على طريقي
بيروتُ لم تُزهَرْ وها حقولي
بيروتُ لم تُثمرْ
وها ربيعُ الجراد والرمل على حقولي ،
وحدي بلا زهرٍ ولا فُصولٍ
وحدي مع الثمارُ
من مغرب الشمس إلى ضُحاهَا
أعبر بيروتَ ولا أراها
أسكن بيروتَ ولا أراها...
وحدي أنا والحبّ والثمارُ
نمضي مع النهارِ
نمضي إلى سواها .

الفجر يقطع خيمه

ألفجر يقطع خيمه
يضع الجفون على التراب
ويداي ساريتان تحتضنان
أشعة الغياب .

رحلت شبابيكي -
فما من زهرةٍ ما من كتاب
أنا والزوايا ،
لي خيوطي الواهات ، ولي غرابي .

الباب

منذ أسابيع وأجفائه
تربضُ في البابِ
أَلْجِسْمُ في فراشه ضائعُ
يبحث والقلبُ على البابِ
ما من يدٍ دَقَّتْ على البابِ ؛
يشتاقُ أن يبكيَ -
ما أكرمَ البكاء ما أغناه ، في نهره
سَفِينَةٌ تُقِلُّ أَحبابي .

هنا أنت؟

عيناىَ عند فراشة
والرَّعبُ يضربُ أغنياتي
— مَنْ أنت؟
— رمحُ تائهٍ
رَبُّ يعيشُ بلا صلاةٍ .

نوم الجديد

1

رحنا مع الفلك ، مجاديفنا
وعدّ من الله وتحت المطر
والوحد ، نحيا ويموت البشر .
رحنا مع الموج وكان الفضاء
حبلاً من الموتى ربطنا به
أعمارنا وكان بين السماء
وبيننا نافذة للدعاء .

«يا ربّ ، لِمَ خَلَصْتَنَا وَحَدَّنَا
من بين كلّ الناس والكائنات؟
وأين تُلقينا ، أفي أرضك الأخرى ،
أفي موطننا الأول
في ورق الموت وريح الحياة؟
يا ربّ فينا ، في شراييننا
رعبٌ من الشمس ؛ يتسنا من النور

يُثَسِّنَا مِنْ غَدٍ مُقْبِلٍ
فِيهِ نُعِيدُ الْعَمَرَ مِنْ أَوَّلٍ .

يَا لَيْتَ أَنَا لَمْ نَصِرْ بِذَرَّةٍ
لِلْخَلْقِ ، لِلْأَرْضِ وَأَجْيَالِهَا
يَا لَيْتَ أَنَا لَمْ نَزَلْ طِينَةً
أَوْ جَمْرَةً ، أَوْ لَمْ نَزَلْ بَيْنَ بَيْنٍ
كَي لَا نَرَى الْعَالَمَ كَي لَا نَرَى
جَحِيمَهُ وَرَبَّهُ مَرَّتَيْنِ .

2

لَوْ رَجَعَ الزَّمَانُ مِنْ أَوَّلٍ
وَعَمِرَتْ وَجْهَ الْحَيَاةِ الْمَيَاهِ
وَارْتَجَّتْ الْأَرْضُ وَخَفَّ الْإِلَهُ
يَقُولُ لِي يَا نُوحُ أَنْقِذْ لَنَا
الْأَحْيَاءَ - لَمْ أَحْفَلْ بِقَوْلِ الْإِلَهُ
وَرُحْتُ فِي قُلُوكِي ، أَزِيحُ الْحَصَى
وَالطِّينَ عَنْ مُحَاجِرِ الْمَيِّتِينَ
أَفْتَحُ لِلطُّوفَانِ أَعْمَاقَهُمْ ،
أَهْمَسُ فِي عُرُوقِهِمْ أَنَا
عُدْنَا مِنَ الْتِيهِ ، خَرَجْنَا مِنَ الْكَهْفِ

وغيرنا سماء السنين ،
وأنا نُبحر لا نُنثني رعباً
ولا نُصغي لقول الإله
موعِدتنا موتٌ ، وشطآننا
يأسٌ ألفتناه ، رضينا به
بحراً جليدياً حديدَ المياه
نعبره نمضي إلى منتهاه ،
نمضي ولا نصغي لذاك الإله
تقنا إلى ربٍّ جديدٍ سواه .

الموت المعاد

مرثية بلا موت

أركض خلف الوطن المسجون
في غابة الأعراس في طفولة الأجراس؛
أستنفر الأهداب والظنون
حول سرير العشب والحصاد
وأسرج الأفراس
نحوك يا بلادي
يا وطن الثلج على الجفون .

مرثية عمر بن الخطاب

صوتٌ بلا وعدٍ ولا تعلّهُ
يصرخ ، والشّمس له مظلةٌ ،
متى ، متى تُضربُ يا جيلةٌ؟

ويا صديقَ اليأس والرجاء
ألحجرُ الأخضر فوق النار
ونحن في انتظار
موعدك الآتي من السماء .

مرثية أبي نواس

تائه والنهار حولك دهر من الدمن
شاعر كيف يشرب
على وجهك الزمن
عارف أنني وراءك في موكب الحجر
خلف تاريخنا الموات
أنا والشعر والمطر
ريشتي ناهد الجواري وأوراق الحياة .

خلنا يا أبا نواس
الليالي تلقنا بالعباءات والدمن
وأحبنا طغاة مراؤون كالسما
خلنا للعذاب الجميل وللريح والشر
نقتل البعث والرجاء
ونغني ونستجير ونحيا مع الحجر
نحن والشعر والمطر ،
خلنا يا أبا نواس .

موتية الحلاج

ريشتك المسمومة الخضراء
ريشتك المنفوخة الأوداج باللهيب
بالكوكب الطالع من بغداد ،
تاريخنا وبعثنا القريب
في أرضنا - في موتنا المُعَاد .

ألزمنُ استلقى على يديك
والنار في عينيك
مجتاحةً تمتد للسماء
يا كوكباً يطلع من بغداد
محملاً بالشعر والميلاد ،
يا ريشةً مسمومةً خضراء .

لم يبق للآتين من بعيد
مع الصدى والموت والجليد
في هذه الأرض النشورية -

لم يبقَ إلا أنتَ والحضورُ
يا لغة الرّعد الجليليّ
في هذه الأرض القشوريّه
يا شاعر الأسرار والجذور .

مرثية بشار

لا تبكه واتركه للسوط وللخليفة المجنون
وسمه الشيطان أو قسمه الطاعون
فهو هنا ، هناك لا يزال
يهدر في الشوارع الصماء
يهدر في أغوارنا الخرساء
يهدر كالزلال .
وهو هنا ، هناك لا يزال
أعمى بلا أرض ولا مدينه
يبحث عن لؤلؤة زرقاء
تحفظها أشعاره الأمينه
للسنة العجفاء .

مرثية

أيها الميِّتُ فوق الخشبِة
يا صديقي
رَسَمْتُ وجهك أزهارُ الطريق
وَمَشَّتْ خلف خطاك العتَبَةُ .

مرثية

أَلْغَبَارُ يُغَنِّيكَ يرفع أشعاره إليك
مانحاً للمهاوي خُطَاكَ
رائياً هذه البقايا
من أغانيك من رِوَاكَ .

أَلْغَبَارُ يُغَطِّي زجاج الفصولِ
يُغَطِّي المرايا
ويُغَطِّي يديكَ .

**كتاب التحوّلات والهجرة
في أقاليم النّهار والليل**

(1965)

زهرة الكيمياء

ينبغي أن أسافر في جنة الرّماد
بين أشجارها الخفية
في الرّماد الأساطير والماس والجزّة الذهبية .
ينبغي أن أسافر في الجوع ، في الورد ، نحو الحصاد
ينبغي أن أسافر ، أن أستريح
تحت قوس الشّفاء اليتيم ،
في الشّفاء اليتيم في ظلّها الجريح
زهرة الكيمياء القديمة .

الدهشة الأسيرة

ذاهبٌ أتفياً بين البراعم والعشبِ ، أبني جزيرةً
أصلُ الغصنِ بالشُّطوطِ
وإذا ضاعَتِ المرافقُ واسودَّتِ الخطوطُ
ألبسُ الدهشةِ الأسيرةَ
في جناحِ الفراشةِ
خلفَ حصنِ السُنابلِ والضوءِ في موطنِ الهَشاشةِ .

شجرة النهار والليل

قبل أن يأتي النهار ، أجيءُ
قبل أن يتساءل عن شمسِهِ ، أضيءُ
وتجيءُ الأشجارُ راكضةً خلفي ، وتمشي في ظلي الأكماءُ
ثم تبني في وجهي الأوهامُ
جزراً وقلاعاً من الصمتِ يجهل أبوابها الكلامُ
ويضيءُ الليلُ الصديقُ ، وتنسى
نفسها في فراشي الأيامُ
ثم ، إذ تسقطُ الينابيعُ في صدري ،
وترخي أزرارها وتنامُ
أوقظُ الماءَ والمرايا ، وأجلو
مثلها ، صفحةَ الرؤى ، وأنامُ .

كنيسة النهار

صارت لي الكؤوس والأكمام
وسادةً
حُلماً على الوسادة ،

من زمنِ الولادة
في غابةِ الرضاع والفِطام
أنقلُ أجراسي في الليل إلى كنيسة النهار
ألنْسُغُ قُدَّاسي بينَ الطلُعِ والثَّمارِ
والورقُ العِمادة .

شجرة الشرق

صِرْتُ أَنَا الْمِرْأَةُ :
عَكَسْتُ كُلَّ شَيْءٍ
غَيَّرْتُ فِي نَارِكَ طَقْسَ الْمَاءِ وَالنَّبَاتِ
غَيَّرْتُ شَكْلَ الصَّوْتِ وَالنِّدَاءِ

صِرْتُ أَرَاكَ اثْنَيْنِ :
أَنْتَ وَهَذَا اللَّوْلُؤُ السَّابِحُ فِي عَيْنِي
صِرْتُ أَنَا وَالْمَاءُ عَاشِقَيْنِ :
أُولَدُ بِاسْمِ الْمَاءِ
يُولَدُ فِي الْمَاءِ
صِرْتُ أَنَا وَالْمَاءُ تَوَّامَيْنِ .

الإشارة

مَزَجْتُ بَيْنَ النَّارِ وَالتَّلَوُّجِ -
لَنْ تَفْهَمَ النَّيْرَانُ غَابَاتِي وَلَا التَّلَوُّجُ
وَسَوْفَ أَبْقَى غَامِضاً أَلِيفاً
أَسْكُنُ فِي الْأَزْهَارِ وَالْحِجَارِ
أُغِيبُ
أَسْتَقْصِي
أَرَى
أَمْوِجُ
كَالضَّوءِ بَيْنَ السَّحْرِ وَالْإِشَارَةِ .

شجرة الحنايا

في حقول الكآبة ، في العشب أرسم أيامي الحَجَرِيَّة
كاسراً صفحة المرايا
بين شمس الظهيرة والماء في البركة الأدمية .
سنواتي تُهاجرُ كالجوع تنهارُ في غابة الحنايا
سنّواتٌ...
رأيتُ مناقيرها تتشابكُ ، تنهارُ في غابة الحنايا
بين أعشاشها الأبدية .

شجرة النار

عائلةٌ من ورق الأشجار
تجلسُ قرب النِّع
تجرحُ أرضَ الدَّمْعِ
تقرأ للماء كتابَ النَّارِ،

عائلتي لم تنتظر مجيئي
راحتُ
فلا نارٌ ولا آثارُ.

شجرة الصبام

لاقني يا صباحُ إلى حقلنا اليابسِ
في الطريقِ إلى حقلنا اليابسِ
شَجَرُ يَابِسٌ كَم وَعَدْنَا
أَنْ نَظْلَ سَرِيرَيْنِ ، طِفْلَيْنِ ، فِي ظِلِّهِ الْيَابِسِ .

لاقني ، هل رأيتَ العُصُونَ سمعتَ نداءَ العُصُونَ
تركتَ نسغها كلاما

كلماتٌ تشدُّ العيونُ
كلماتٌ تشقُّ الحجارةَ

لاقني ، لاقني...
كأنا التقينا ، نَسَجْنَا الظَّلَامَا
ولبسنا ، وجئنا ، قرعنا على بابه ، رفعنا السَّتَارَه
وفتَحْنَا شَبَابِيكَه وانزَوَيْنَا

في حنايا الجذوع
واشتَغَتْنا بأجفاننا وسكَبنا
دَوْرَقَ الحلم والدموع
وكأنا بقينا
في بلاد الغصونِ ، أضْعنا طريقَ الرجوعِ .

غاية السحر

ليكنْ ،
جاءتِ العصافيرُ وانضمَّ لفيفُ الأحجارِ للأحجارِ
ليكنْ ،
أوقظُ الشوارعَ والليلَ
ونمضي في موكبِ الأشجارِ
الغصونُ الحقائقُ الخضرُ والحلمُ وسادُ
في عطلةِ الأسفارِ
حيث يبقَى الضحى غريباً ويبقى
وجههُ خاتماً على أسراري .

ليكنْ ،
دَلَنِي شُعاعٌ وناَداني صَوْتُ
من آخرِ الأسوارِ...

شجرة الأهداب

... وحينما استسلمتُ في جزيرة الجفون
ضيفاً على الأصدافِ والجرارِ ،
رأيتُ أنَّ الدهرَ قارورةَ
تجمعُ بين الماءِ والشرارِ
وتَمْنَحُ الإنسانَ أن يكونَ
أسطورةً أو نارَ أسطورة ،

وكنتُ محمولاً على الغصونِ
في غابةٍ بيضاءَ مسحوره
نهارُها المندورُّ للجنونِ
مَدِينَتِي ، واللَّيْلُ مقصورة .

شجرة الكابة

وَرَقٌ يَتَقَدَّمُ يَرْتاحُ فِي حُفْرَةِ الْكَابَةِ
حَامِلاً زَهْرَةَ الْكَابَةِ
قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ الْكَلَامُ
صِدْأً
يَتَنَاسَلُ فِي قَشْرِهِ الظَّلَامُ

وَرَقٌ سَائِحٌ يَتَقَدَّمُ يَرْتادُ أَرْضَ الْغَرَابَةِ
غَابَةً بَعْدَ غَابَةٍ
حَامِلاً زَهْرَةَ الْكَابَةِ . . .

اقلیم البراعم

مرّ هنا إيكار
خيم تحت الورق الشاحب شمّ النار
في غرف الخُصرة في البراعم الوديعة
وهزّ،
هزّ، الجذع، واستجار
والتفّ كالوشية
ثم انتشى وطار...

لم يحترق - لَمَّا يَعْدُ إيكار .

(1963)

المسرح والمرايا

(1968)

كلمات

كلماتٌ لها أرجلٌ وبيوتٌ
كلماتٌ تموتُ
وهي حُبلى ... سكنا
وطناً راودتهُ ، شردنا
في تقاطيعه ، ارتسمنا
حول أفاقه غصونا
وارتسمنا رؤى وعيوننا

كلماتٌ رمت قشرها ، رافقتني
في طقوس المدينة
ودخلنا مقاماتها ، احترقنا
حُلماً - ها هنا دفننا
جُثَّةَ العالم اقتسمنا
إرثه واستعدنا
لهبَ الفطرة الدفينة .

كلماتٌ تسافر في صرّخة الطفولة
كم حملنا خُطانا مزجنا البطولة

بالجنون ، احتمينا

ببراكينه . . .

كَلِمَاتُ

حَضَنْتْ صَمْتَهَا وماتتْ

... وحرقنا مناديلنا وقرأنا

سورةً ،

وذبحنا

حُلُمًا كالخروفِ

بين إيقاعها والحُرُوفِ .

... وامتزجنا بها ورقدنا

فوقها

ونَهَضْنَا

وبَدَأْنَا ، وعدنا

والمدى جامعٌ ،

كَلِمَاتُ ،

كَلِمَاتُ هي الثورةُ -

... اجتَرَحْنَا

كلّ ما يهدمُ المدينةَ أو يخلقُ المَدِينَةَ

كَلِمَاتُ الحنين وأقواسه الشريدة

كلماتٌ تهاجر بين الغصون
كلماتٌ تموتُ مع الحلم في آخر العيون
كلماتُ الحدود البعيدة
كلماتُ الأفول
والصُّعودِ ومِعرَاجِهِ ،
الحلولُ
في الجذور وغاباتها ،
كلماتُ
شهدت جثَّة الحسين
وهي تبكي وتجري مع الرافدين
مُتُّ في حضنها وعشتُ
وَطَمَرْتُ شرايينها ونَبَشْتُ
كلماتُ المَجِيءِ -
سَفَرٌ مُعْتَمٌ خُطواتُ تُضْيِئُ
في الزَّمانِ المهرول في وَجْهِهِ البَطيءُ
كلماتُ سفينة
في البحارِ الدفينة
بينَ نارِ الغموضِ ومزمارِهِ ، الدَّفِينَةُ
تحت رقصِ الجذورِ
الدَّفِينَةُ
حيثُ تمضي وتمضي وتمضي

مَطَرًا هَازِيًا
وَتَمْضِي
لَهَبًا هَازِيًا
وَتَمْضِي ...

لون الماء

لونك لون الماء
يا جسد الكلام
حين يكون الماء
خميرة أو صاعقاً أو نار -
واشتعل الماء وصار صاعقاً وصار
خميرة ونار ،
نيلوفرأ
يسأل عن وسادتي
ينام ...
يا نهر الكلام
سافر معي يومين ، جمعتين في تموج الأسرار
نلتقط المحار ، أو نستكشف البحار
نمطر يا قوتاً وأبنوساً
نعرف أن السحر
جنية سوداء
ترفض أن تعشق غير البحر .

سافرُ معي واظهرُ هنا... وغِبُ هنا...

واسألُ معي يا نَهَرَ الكَلَامِ

عن صَدَفٍ يَموتُ كي يَصِيرُ

سحابةً حمراءَ

تُمَطِرُ،

عن جزيرة

تَسِيرُ أو تَطِيرُ،

واسألُ معي يا نَهَرَ الكَلَامِ

عن نجمةٍ أَسِيرَةٍ

بين شِبَاكِ المَاءِ

تحمل تحت ثديها

أيامي الأَخِيرَةَ .

واسألُ معي يا نَهَرَ الكَلَامِ

عن حجرٍ يَنْبُعُ منه المَاءُ

عن موجةٍ يولد منها الصَّخْرُ

عن حيوانِ المِسْكِ ، عن يَمَامَةٍ من نورٍ

واهبطُ معي في شَبَكِ الدِّيَجُورِ

في القاعِ ،

حيثُ الزَّمَنُ المَكْسُورُ

ولِيَكُنِ الكَلَامُ

قصيدةً تلبَسُ وجهَ البَحْرِ .

الزمن المكسور

امراة ورجل

- من أنت؟
- بهلولُ بلا مكانُ
- من حجر الفضاء من سُلالة الشيطانُ
- من أنت؟
- هل سافرتِ في جسدي؟
- مراراً
- ما رأيتِ؟
- رأيتُ موتي
- ألبستِ وجهي؟
- ورأيتِ شمسيّ مثلَ ظلٍّ
- ورأيتِ ظلِّي مثلَ شمسٍ
- ونزلتِ تحتِ سريري ، وكشفتيني؟
- أكشفتيني؟
- كاشفتيني؟ أيقنتِ؟
- لا
- أشفيتِ بي ، وبقيتِ خائفةً؟
- بلى
- أعرفتيني؟
- أعرفتيني؟

أغنية للرجل

جانبيًا ،

رأيتُ وجهك مرسوماً على جذع نخلةٍ

ورأيتُ الشمسَ سوداءَ في يديك ،

فأسرجتُ حنيني إلى التّخيل ، حملتُ اللَّيلَ في سلّةٍ ، حملتُ

المدينةَ

وتناثرتُ حول عينيكِ ، أستطلعُ وجهي -

رأيتُ وجهك جوعاناً كطفلٍ ،

حوطته بالتعاويدِ

وفتّت فوقه ياسمينه .

أغنية للمرأة

جانبياً
رأيتُ وجهك شيخاً
سرقته الأيام والأحزانُ
جاءني حاضناً قواريره الخضراء يستعجل العشاء الأخير
كلّ قارورةٍ خليجٍ وأعراسٍ خليجٍ ومركبٍ
تغرق الأيام فيه وتغرق الشيطانُ
حيثُ تستكشفُ النوارسُ ماضيها ويستشعرُ الغدَ الربانُ
جاءني جائعاً ، مددتُ له حبي
رغيفاً ودورقاً وسريراً
وفتحتُ الأبوابَ للريح والشمس ، وشاركته العشاء الأخير .

المجوس

كان في وجهكِ المسافر ، في وجهي
نَجْمٌ ، وكان ليلٌ يجوسُ
وتَلَاقَتْ يَدانا
تَلَاقَتْ خُطانا
وتَلَاقَتْ رِوَانا ،
وهَبَطْنَا ، رَأَيْنَا وَغَبْنَا
وظَهَرْنَا وَغَبْنَا
وَأَتَى بَعْدَنَا المَجْجُوسُ .

وجه امرأة

سكنتُ وجه امرأة
تسكن في موجةٍ
يقذفها المدُّ إلى شاطئٍ
ضئيع في أصدافه مرفأه .
سكنتُ وجه امرأة
ثميتني ، تُحبُّ أن تكون
في دمي المبحر حتى آخر الجنون
منارةً مطفأه .

الطريق

الطريقُ امرأة
وضعتُ راحةَ المسافر في راحةِ العشيِّقِ
ملأتُ راحةَ العشيِّقِ
بالحنينِ وأصدافه ،
امرأة
حلُمٌ صيرتُه امرأة
مركباً ضيقاً كالجنحِ
لابساً وردةَ الرياحِ
ناسياً مرفأه .

مرآة لحظة ما

صاعدٌ؟ كيف؟
لا جبالك من نارٍ
ولا في ثلوجها أدراجُ
لك في وجهي الكتُّوم
رسالاتُ حنينٍ
وفي دمي أبراجُ
كلما قلتُ : أصعدُ
انكسرَ الليلُ
وضاقَ الحنينُ والمعراجُ .

مرآة للكرسي

كُرْسِيَّكَ الشَّائِخُ كَانَ طِفْلاً
أَعْطَيْتُهُ يَدَيَّ
عِقْدَيْنِ دَمِيتَيْنِ - كَمْ تَدَلَّى
وَجَاعَ ، وَاسْتَرْسَلَ حَوْلَ صَدْرِي
كَمْ طَافَ وَاسْتَرَاخَ فِي عَيْنِي .
لَوْ يُنْسَخُ الْكُرْسِيُّ ، لَوْ يَصِيرُ
مُسَافِراً ، أَوْ نَظْرَةً خَجُولَهُ
لَقَلْتُ فِي أَهْدَابِكَ الْخَجُولَهُ
أَلْمَحَ كُلَّ لَيْلٍ
طِفْولَةَ الْكُرْسِيِّ ، كُلَّ لَيْلٍ
سَهْرَتُهُ ،
وَأَلْمَحُ الطُّفُولَهُ .

مرآة للوقت

أدعوك ، أيامي بلا حارسٍ
وهذه المسافة المقفرة
وليمةً للحلم ، عيدٌ من الحنين من أشجاره المثمره
أدعوك أن تحضره .
ساريةً الأحزان مرفوعةً
يا ليت لو ترتاحُ ، لو تنحني
كالغصن في رياحها المضمرة
وها هو الإبريق مرثيةً
أو زهرةً ،
والشاي نافورةً
أدعوك أن تصغي ، هذا الصدى
يجيئنا بالعُشبة المُسكره .
... وغرب الوقت ، الحنين ارتدى
ثيابنا
صارَ البخور الذي
يلفُّ أهدابنا
يخرجُ من قبةٍ
قديمةٍ
تخرجُ من جوهرة .

حزمة القصب

(وجوه وأقنعة . قاعة بمدخل كثيرة من طراز قديم) .

- ١ -

وجه ١ : أسمع أَنَّ الناسَ غاضِبونَ
تَتَّحِدُ الصَّلَاةُ فِي قُلُوبِهِم وَالنَّارُ...

قناع ٢ (باستهزاء) :
غاضِبونَ؟

سرعانَ ما يَرْضونَ ، يَهْدأونَ -
السَّيْفُ وَالذَّهَبُ
يُطْفِئَانِ نَارَهُمْ ...

وجه ١ : تشبُّ من جديدٍ
قناع ٢ (بحماسة) :

يشبُّ من جديدٍ
يلفُّهم كحزمةِ القَصَبِ
السَّيْفُ وَالذَّهَبُ ،
ولَهَبُ الجريمةِ

(يصمت . يتابع كمن يحلم)
فترتخي القلوبُ

والرَّكْبُ
تصيرُ مثلَ خِرْقَةٍ ...
ويُطَبِّخُ الثَّوَارَ كالْفَرَاخِ فِي وَلِيْمَةٍ...
(يضحك)

وجه ١ : تحتقرونَ الناسَ ، تزرِبونهم

للذَّبْحِ ،
تأكلونهم ...

قناع ٢ (مستغرباً) :

حنجرةٌ جديدةٌ
شَحَذَتْهَا بِشْفَرَةِ الثَّوَارِ؟
(بلهجة الناصح)

خَلَّ الشَّعْبَ يَا صَدِيقِي ،
فهو ، كما اختبرتُ ، مثلُ وَخْشٍ
يَظَلُّ فِي غَضَبٍ
إِلَّا إِذَا أَطْعَمْتَهُ لِلسَّيْفِ
أَوْ لِقَمَّتِهِ الذَّهَبُ .

(يخرج)

(أقنعة منحنية حتى الأرض . في إحدى الزوايا تقف امرأة كالتمثال ، تحضن
جمجمة) .

قناع ١ : (يبدو كالبرميل لا رأس له ، يخاطب وجه ١ مشيراً إلى الأقنعة المنحنية) :

وجه ١ : الشَّعْبُ ، تعويذُكَ الدَّائِمَةُ

رَأَيْتَ؟ (يشير باحتقار إلى الأقنعة المنحنية)

لا ، صُورَتُكَ الغَاشِمَةُ

عرضَتَهَا .

الشَّعْبُ ليس قِشَاءً

تحنيه ، أو قناعاً...

قناع ١ : (ثائراً) :

نخذوه :

خَلَّوْا رَأْسَهُ هَدِيَّةً

كأساً من العظام ،

أَدْمِيَّة .

(يخرج بعض الأقنعة وهم يجرون وجه ١)

(تدخل أقنعة جديدة) .

— ٢ —

قناع ٢ (إلى قناع ١ ، مقدماً له جمجمة بشكل كأس) :

أولى هدايايَ إلى مولاي ،

والحضورُ يشهدون... (مشيراً إلى الأقنعة)

أخبروه ،

تَقَدَّمُوا ...

قناع ٣ (يتقلد جمجمة . يتقدم ، يقف وقفة عسكرية أمام قناع ١) :

- أصواتُهُمْ
تمتدُّ تحت خطُّونا
كَدَرَجٍ ...
قناع ٤ (يتقلد ساعداً . يتقدم بخطوات عسكرية إلى موازاة قناع ٣) :
أكتافُهُمْ
لَيِّنَةٌ ،
حمراءُ كالوسائدِ
قناع ٥ (يتقلد فخذاً وساقاً . الحركة ذاتها) :
أجسادهم
منفوخةٌ كجثةِ الصحراءِ ،
والصحراءُ كالموائدِ
قناع ١ (بصوت أجش ونبرة مجنونة) :
الرَّمحُ ، ها ...
في القلبِ والضَّميرِ
في سُرَّةِ الحُبلى ، وعينِ الطِّفلِ ، في الشَّهيقِ والزَّفيرِ
والشَّجرِ القريبِ والكواكبِ البعيدةِ
أَلْقَتْلُ ، ها... بذاريَ الوحيدِ ،
ها ها...
أَرْضِيَ الوحيدَ .
(الجميع يضحكون بجنون)

أربع أغنيات لهزيمة القصب

الجانم

يَرَسُمُ الْجُوعَ عَلَى دَفْتَرِهِ
أَنْجَمًا أَوْ طُرُقًا
وَيُغْطِي الْوَرَقَا
بِمَنَادِيلَ مِنَ الْحُلْمِ -
لَمَخْنَا

شَمْسَ حَبٍّ حَرَكَتْ أَهْدَابُهَا
وَرَأَيْنَا شَقَقَا .

النوم والنهوض من النوم

يصنع في نومه
نموذجاً لثورةٍ جامحةٍ
تعانق المستقبل الطالعا ،
ينهضُ من نومه -
تصير أيامُهُ
ببغاءَ . . .
تبكي اللّيلةَ البارحة
وحلمه الضّائعا .

الشعب

تجمّع الشجر
أثقله الصراخُ والحنينُ كالثمر
وهبّ في مسيرة
حول ضفاف النهر . كان رعدٌ
يرجّه كأنه الشررُ -
وصبغ الشجر
حزناً على طيوره الأسيره
في الجانب الآخر من خاصرة النهر .

الغضب

غضب الفراتُ -
في ضِفَّتَيْهِ حناجرُ
أبراجُ زلزلةٍ ، ورعدُ ،
والموجُ أحصنةٌ...
رأيتُ الفجرَ مقصوصَ الذؤابةِ
والماءَ مستنونَ الهديرِ يسيلُ مختضِناً حرابةً .
غضب الفراتُ
لا النارُ تطفئُ ذلك الغضبَ الجريحَ ولا الصَّلَاةُ .

تيمور ومهيار

(ردهة في القصر ، تيمور وحوله حراس مسلحون)

- ١ -

تيمور (بغضب) :

هاتوه هاتوا حمام البركان ، هاتوا نهم الضباع
لّفوه بالجرذان والأفاعي
هاتوه واسحقوه...

(تنصب خشبة تغطيها أمشاط الحديد . يُمدد عليها مهيار . يربط ، يجلد حتى
يتقطع لحمه . يسمّر رأسه بمسامير حُميت في النار . يؤخذ إلى السجن . يبطح على
وجهه . توضع أسطوانة من الحجر على ظهره . تقيد بالحديد يداه ورجلاه) .

- ٢ -

(تيمور ، مهيار ، حراس مسلحون)

تيمور : ألم تكن في السجن؟ كيف جئت؟
انسللت من شقوقه؟ هدمته؟ أخرجك السجّان؟
مهيار : أخرجني سلطان
كالشمس لا يموت ،
كالإنسان

(يُمَدَد بين خشبتين . يقطع رأسه . يقطع جسده إلى أجزاء صغيرة تُرمى في جبٍ
للأسود . الأسود لا تأكلها ، بل تنحني وتبتعد عنها) .

- ٣ -

(جمهور ، مهيار ، تيمور ، الساحر)

أصوات : شبيهه . كأنه مهيارٌ

يعودُ ، كيف عادُ

يا سيّد الأسرارُ

يا ساحرَ البلادِ كيف عادُ؟

تيمور : شبيهه؟ مهيارٌ ...

أموتُ ، كلُّ خلجة طاعونُ

أموت ... كلُّ عُضْوٍ يفرّ من ثيابي ،

يدورُ كالمجنونُ

مهيارُ؟ عادُ ، أين ... أين ساحرُ البلادِ

ماذا ترى؟ رأيت؟ كيف؟

الساحر : ... ثوراً

أريد ثوراً أسودَ الجبين والقرنين ،

تحت فكّه السفليّ شامتان ،

لكي أرى الآتي كما يراني ...

تيمور : أخرجه من قميصه ...

الساحر : أمسخه!

تيمور : جرادة ، أو نملة عرجاء ، أو حرباء...

الساحر : مُرّلي بكأس ماء...

(يجيء الثور . ينفث في إحدى أذنيه فتصير اثنتين . ينفث في الثانية فيصير الثور ثورين . يأخذ بذاراً يبذره ويحرثه . نبت الزرع وأينع وحُصد . دُرّي وطحن وعجن وخبز وأكل في ساعة واحدة . أخذ كأس الماء ونفث فيها . أعطاها إلى مهيار وأمره أن يشربها . يشربها مهيار كلها) .

الساحر (إلى مهيار) :

ماذا تُحسّ الآن؟

مهيار : كلّ جزءٍ

في جسدي يتنبوع

(يبتسم . صمت .)

واشتدّت الحياة في عروقي ...

الساحر (إلى تيمور بيأس) :

كأنّه من طينة

مجهولة الفروع والأصول - أنت نارٌ

في الأرض ، وهو نارٌ في الأرض والسماء ،

وهو النَّفسُ المزروعُ

في رثه الحياة ...

تيمور (بغضب الوحش) :

إن سيفي

أحدُ

إن فتكي

أشدّ . . . لن ينهضَ بعد الآن -

أنا هو الجحيمُ والديان .

(يصنع من النحاس تمثالاً معجواً بشكل ثور يحشوه نفطاً ورصاصاً وكبريتاً وزرنيخاً .

يدخل مهيار في جوفه . يشعل فيه النار . يلتهب وينصهر ويتحول كل شيء إلى رماد .

تهب ريح تملأ الفضاء سحاباً أسود ورعوداً وصواعق وأعاصير . يسود ما بين السماء

والأرض ، ويمكث الناس أياماً حائرين لا يميزون بين الليل والنهار . يتحرك الرماد

ويخرج منه مهيار) .

الراوي : وقيل صارت تُمطر السماء

ناراً على المدينة . استُذِلَّتْ

فأنسحقت واحترقت ،

وبقيت زماناً

يخرج من أنقاضها دخانٌ

يشمه الناسُ فيسقطونُ

موتى ،

ومهيارُ دمٍ وماءٍ

والأرضُ مثل وجهه ،

تبدأ ، مثل صوته...

والناسُ يُولدونُ . . .

أربع أغنيات لتيمور

مرآة للشعر

فاجئُ
جسدَ العذراءِ
جَسَدَ الحُبلى ...
فاجئُ وأفتكُ
لا تتركُ شيخاً أو طفلاً ...
هذا شرعي .

الغزو

يَحْتَرِقُ الْعُصْفُورُ
وَالْخَيْلُ وَالنِّسَاءُ وَالْأَرْضُ صَفَهُ
تُقَسِّمُ كَالْأَرْغَفَةِ
بَيْنَ يَدَيِ تَيْمُورَ .

جاؤوا
دخلوا البيت عراً
حفروا
طمروا الأطفال ، وعادوا . . .

السيل

مهيار غنّى حنّا ، برّا صلّى أدان
بارك وجه الجنون ،
ذوّب في صوته
جرّح العصور ، اشتهى
لصوته أن يكون
سيلاً ، وكالسّيل كان...

مرايا وأعلام حول الزمن المكسور

الماضي

كم حملتُ الحجرَ
من تلال سمرقندَ ، صُغْتُ الحجرَ
حريةً ،
أوقلادَه
لعشيقاتي الجواري ،
كم نسجتُ البشرَ
خيمةً ،
أوسادةً ...

الحاضر

زَمَنٌ يَجْرِي ، زَمَنٌ يَهْرَبُ مِثْلَ الْمَاءِ
وَأَنَا أَجْرِي...

كُلُّ نَهَارٍ سَكِينٌ فِي أَحْشَائِي
وَاللَّيْلُ حَرَابٌ

أَشْعُرُ أَنَّ الشَّمْسَ

تَعْرِى

تَرْقُدُ فَوْقَ سَرِيرِي مِثْلَ امْرَأَةٍ ،
حِينَ يَقَالُ : « قَطَعْنَا رَأْسُ » . . .

مرآة صلاغية

سنبله سنبله
لا تتركوا سنبله
فإنّ هذا الحصاد
فردوسنا المستعاد
بلادنا المقبله

ومزقوا القلوب قبل الصدور
واقتلعوا الجذور
وغيّروا هذا التراب الذي
أقلّهم ،
وامحوا زماناً روى تاريخهم
وامحوا سماء حنّت عليهم...
سنبله سنبله
كي ترجع الأرض إلى عهدا...
سنبله سنبله...

الرصاصية

رصاصيةٌ تدورُ
مدهونةٌ بألقى الحضاره
تثقبُ وجهَ الفجر - كلُّ لحظةٍ
يُعاد هذا المشهدُ -
الخُصُورُ
يُجدّدون جرعةَ الحياة ، يَنشطون ، لا سِتاره
لا ظِلٌّ ، لا استراحةٌ :
المشهدُ التاريخُ ،
والمُمثِّلُ الحضاره .

مرآة السياف

— هل قلتَ إنَّكَ شاعرٌ؟
من أين جئتَ؟ أحسَّ جلدُكَ ناعماً...
سيّافٌ تسمُعُنِي؟
وهبتك رأسه ،
خذهُ ، وهاتِ الجلدَ واحذَرِ أنْ يُمسَّ الجلدُ
أشهى لي وأغلى ...
سيكونُ جلدُكَ لي بساطاً
سيكونُ أجملَ مخملي ،
هل قلتَ إنَّكَ شاعرٌ؟

الشاعرات

بين الصّدى والصّوت شاعرانُ
الأولُ النّاطق مثلُ قمرٍ
مُكسّرٍ،
والآخر الصّامت مثلُ طفلٍ
ينامُ كلَّ ليلةٍ
بين يدي بركانٍ .

دمشقُ
قافلةُ النجوم في سِجادةِ خضراءُ
ثديان من جمرٍ وبرتقالُ
دمشقُ
أَلْجسدُ العاشق في سريره
كالقوس ،
والهلالُ
يَفْتَحُ بِاسْمِ الماءِ
قارورةَ الأيام ، كلَّ يوم
يدورُ في مداركِ الليلي
يسقط في بركانك الشَّهيّ
ذبيحةً . . .
والشَّجرُ النائم حولِ غرفتي
ووجهي
تُفَاحَةٌ
وحيي

وسادةٌ ، جزيرة ...

لو أنها تجيء

لو أنها تجيء

دمشق

يا ثمر الليل ويا سريرة .

مرآة لملك الحريم

تَقْدَمِي ، من أَنْتِ يا قَبِيلَةَ
لا ذَهَباً حَمَلْتِ ، لا دِمَقْساً
لِلْمَلِكِ الْعَظِيمِ
لا خَيْلَ لا لُبَاناً لا حَجَراً كَرِيمَ
ولا أرى جَدِيلَةَ
لِمَنْ ، لماذا هذه المَسِيرَةُ؟
كونِي ، إِذْنِ ، من خَدَمِ الأَمِيرِ
أو مِنْ خَدَمِ الأَمِيرِ .

بيروت

1

يَسْكُنُ فِي بِيْرُوتْ
وَالْأَرْضُ فِي عَيْنِيهِ أَبْجَدِيَّةٌ
وخمسةُ جامعاتٍ
وَالصَّخْرُ تَفَاحٌ وَأَغْنِيَاتُ .
لَكِنَّهُ يَمُوتُ -
يَمُوتُ فِي تَمْتِمَةٍ
كَأَنَّهُ يَسْكُنُ فِي جَمِيعِهِ
بَغَيْرِ أَيَّامٍ وَلَا هَوِيَّةٍ .

2

كَانَتِ الْمَائِدَةُ
عُرْفًا ،
يَتَصَابَحُ فِيهَا الضُّيُوفُ
كَانَ لَحْمُ الْخُرُوفِ
جَبَلًا ، وَالشَّرَابُ

ساحراً حوله يطوفُ
وعلى الشَّرْفَةِ الذهبية في قبة المائده
كان وجهٌ يبيدُ مع الأوجه البائدة -
كانَ وجهُ الكتابِ .

3

عائشة مرّت ، فكلُّ ليلٍ
تَختُ ، وكلُّ ناقةٍ مصباحُ
للجسدِ الضَّيرِ أو للزَّمنِ الضَّيرِ
عائشةُ تجتاحُ - لونُ الشهوة اجتياحُ
راقصها الأميرُ وهو لا بسَّ قُبعة الشَّحاذِ
أو راقصها الشَّحاذُ وهو لا بسَّ قُبعة الأميرِ
سامرها غنى لها حتى ذوى الكلام
لفَّ عليها زندَه وغطَّى
سُرَّتَها ، ونامَ ...

مرآة لزيد بن علي

أستشرفُ المكتوبُ
في صفحةِ الخلافه
مرسومةٌ كالقبر تحتَ راحتي همام :
رأسك بين النصل والرّصافه
مهاجرُ
والجسدُ المصلوبُ
ينثرُ مثلَ الصوتِ
في نهرٍ ...
- لا ، لن يحولَ سيفُ
لا ، لن يحولَ موتٌ ...
لي وطنٌ في الماءِ - غيرُ الموتِ
يجهلُ ،
غير الصلْبِ والحريقِ
يجهلُ أن يُقرّبَ المسافه
ما بيننا ،
ويفتحَ الطريقُ .

واخترق النصلُ جبينَ زيدٍ ،
وتكسّتُ رايته ...

— ارفعوه

غَطَّوه ، خَبَّثُوهُ

عن أعين الأعداء

هنا ، هنا ...

لَفَّوه بالأصواتِ بالوجوه ،

بالعُشبِ خَبَّأُوهُ

في الماء ، في ساقية خضراء .

وها هم الأعداء

يأتون ...

بعد لحظة رأوه معلقاً

يُخَرِّقُ فوقَ الماءِ

يُنْثَرُ فوقَ الماءِ —

الجسمُ يَصَاعِدُ في رمادٍ

مُهاجرٍ كالغيمة الخفيفة

والرأسُ وَخِي نازٍ

عن زمن الغيوب والثورة والثوار

يَقْرَؤُهُ السيفُ للخليفة ...

مرآة رجل يرويا

لو أنني وُلدتُ قهرماناً
في القَصْرِ ،
أو مزيّناً لزوجة الخاقانِ
لكنْتُ أقواساً على الدُّروبِ
لكنْتُ قوَّاماً على الرؤوسِ
أصنعُ منها الثُّقلَ والندامى
والخمرَ والكؤوسَ
أصنعُ منها نكهةَ الشُّعوبِ .

مرآة لزرياب

كلّ شيء يغني كزرياب ،
سيفُ الإمارة
وحذاء الأميرة ، والنقط — عصرُ الأغاني
عربي ،
وتعويذة الجحيم
والصلاة ، ومقصورة الحريم
ودمٌ يُسدل الستارة .

مرآة الفقير والسلطان

(- ماذا؟ ألا تخاف؟)

- لا قصبٌ عندي ، ولا خرافٌ

ومرّة ، غرزتُ في مكانٍ

أصابني ، فأنفتحَ المكانُ

وبانَ شِقُّ خَرَجِ الدُّخَانِ

مِنْ فَمِهِ ، وجاءَ ثعبانٌ كبيرٌ أصفرُ

أخذتهُ ، فَرَكَتُهُ

وعندما حَدَقْتُ في رِمادهُ ، تلاشى ...

- وحرسُ السلطان؟

- طارَدني ، فجاءَ فرسانُه

وكنْتُ في خَلوتي أَنامُ ، فانتبهتُ

رأيتُ قُدَّامي

نعامةً ، أو ناقةً

نسيْتُ ، لكنني

ركبتُها ،

فأخذتُ تمشي

فَبُهِتُوا ، وَسَقَطُوا مِنْ خَوْفِهِمْ ، وَمَاتُوا ،
وَبَعْدَهَا ، لَمْ يَجْرُؤُ السُّلْطَانُ
عَلَى دُخُولِ بَيْتِي . . .)

امراة ورجل

(- رأيتُ أنَّ فارساً
من السماءِ حاملاً
قارورةً يملؤها تراباً ، قدَّمها إليَّ -
كان أحمرّاً يسيلُ منه دمك - انقلَعْتُ
كالعشبة من سريري ...
- اطمئنِّي ،
أَلحيرةُ التي ترجُ نفسي تزولُ ،
إنَّ ضوءاً يشعُّ - كلُّ جوعٍ
جوعي
وكلُّ جُرْحٍ
جرحي ،
وكلُّ موتٍ ...
حُلْمُكَ يَسْتَنْفِرُ في كتابي
حروفه والنارَ والمجامرا
حلمك يُغريني كي أُسافِرا
في هذه الحُقْفَةِ من تُرابي ...)

مرآة الحجاج

(... ليس له وراءُ
يرفضُ ثديَ أمِّه :
كانَ اسمُهُ الحجاجُ .
وثقبوا فأراً
وثقبوا وراءه
ودهنوا بدمه الحجاج
وذبحوا تيساً ودهنوا بدمه الحجاج
فالتذُّ بالدماءِ
صارت له رضاعةً وأمّاً .

واستطرد الراوي :
... وصعد المنبرَ في يديه
قوسٌ ، وفوقَ وجهه لثامٌ
وقال ، بالسَّهام والقنّاع ، لا بالصَّوتِ والكلامِ :
«أنا ابنُ جلاً وطلاعِ الثنايا ...»
... أنا هو السَّوَالُ والنِّيراسُ

أنا هو الفَرَّاسُ —

ويلٌ لمن يكون من فرائسي...

وَزُلْزِلَ الْمَكَانُ

وَاهْتَزَّتِ الْبِلَادُ مِثْلَ شَجَرَةٍ

وَسَقَطَ الْمَسْجِدُ مِثْلَ ثَمَرَةٍ

وَسَقَطَ الزَّمَانُ .

صَوَاةُ الرَّأْسِ

(- سَايَرْتُهُ ، رَصَدْتُهُ
غَلْغَلْتُ فِي جَفْوَنِهِ
أَيَقْظْتُ كُلَّ شَهْوَتِي هَجَمْتُ وَاحْتَزَزْتُهُ ...
وَجِئْتُ .
كَانَتْ زَوْجَتِي نَوَارُ
تَفْتَحُ بَابَ الدَّارِ :
- أَوْحَشْتَنِي ، أَطَلْتَ ، كَيْفَ ؟
- أَبْشِرِي ،
جِئْتُكَ بِالدَّهْرِ ، بِمَالِ الدَّهْرِ
- مِنْ أَيْنَ ، كَيْفَ ، أَيْنَ ؟
- بِرَأْسِهِ ...
- الْحَسِينَ ؟
وَيَلَّكَ ، يَوْمَ الْحَشْرِ
وَيَلَّكَ لَنْ يَجْمَعَنِي طَرِيقٌ أَوْ حَلَمٌ أَوْ نَوْمٌ
إِلَيْكَ ، بَعْدَ الْيَوْمِ ...)
وَهَاجَرْتُ نَوَارُ .

مرآة الشاهد

وحينما استقرتِ الرِّماحُ في حشاشةِ الحسينِ
وازيَّنتُ بجسدِ الحسينِ
وداستِ الخيولُ كلَّ نقطةٍ
في جسدِ الحسينِ
واستُلِّبتُ وقُسمتِ ملابسُ الحسينِ ،
رأيتُ كلَّ حجرٍ يحنو على الحسينِ
رأيتُ كلَّ زهرةٍ تنامُ عند كتفِ الحسينِ
رأيتُ كلَّ نهرٍ
يسير في جنازةِ الحسينِ .

مرآة لمسجد الحسين

ألا ترى الأشجار وهي تمشي
حدباء ،
في سُكْرِ وفي أناة
كي تشهد الصلاة؟
ألا ترى سيفاً بغير غمدٍ
يبكي ،
وسيفاً بلا يدين
يطوف حول مسجد الحسين؟

مرآة الحلم

خُذِيهِ ، هذا حُلْمِي
خِيطِيهِ والبِسيه
غِلَالَةً .

أَنْتِ جَعَلْتِ الْأَمْسَ
يَنَامُ فِي يَدِيْ
يَطُوفُ بِي ، يَدُورُ كَالْهَدِيرِ
فِي عَرَبَاتِ الشَّمْسِ
فِي نَوَاسِطِ الطَّيْرِ
كَأَنَّهُ يَطِيرُ مِنْ عَيْنِي .

مرآة التاريخ

(... بَقِيَّةُ الرُّطوبَةِ الأولى

تَجَفَّفَتْ ،

وَانْعَصَرَتْ مِنْ طِينِهَا السَّاعَاتُ ، مَا تَبَقَّى

صَارَ إِلَى مَلُوحَةٍ

أَوْ رُبَّمَا صَارَ إِلَى مَرَارَةٍ .)

وَقَالَ آخَرُونَ :

(... خِلَاصَةُ الزَّرْنِيخِ بَعْدَ مَزْجِهَا الْقَوِيِّ بِالرَّمَادِ

أَوْ عِرْقِ التُّرَابِ وَالْحِجَارَةِ .)

وَقِيلَ : مِثْلُ حَجَرٍ

يَرْتَشِحُ مِنْهُ الْمَاءُ .

وَقِيلَ : فِيهِ مَاءٌ

تَأْخُذُهُ الشَّمْسُ لَهَا غِذَاءٌ

تَصْنَعُ مِنْ فُتَاتِهِ الْبَخَارَ ، أَوْ تَصُبُّهُ كَالْجَمْرِ

فِي حُفْرَةٍ عَظِيمَةٍ كَالدَّهْرِ ،

ثُمَّ يَعُودُ مَطَرًا ...

وَقَالَ آخَرُونَ :

(... دَوَامَةٌ

وهو كَمَتَجَّتُونُ
يغرفُ ماءَ نهرٍ
يصبُّه في جَدُولٍ
يصبُّ من جديدٍ
في ماء هذا النَّهْرُ...)

... ووقفَ الماءُ معي زماناً ،

تخلخلتِ مراكبي
وغابتِ المناره
وصارت الأمواج كالْحِجَارَةَ —
هل بلغَ التاريخُ منتهاهُ؟
هل أومأتْ شَمْسِي إلى سِوَاهُ؟
أبحرتُ فيه زماناً
رأيتُ ما رأيتُ — كلُّ جِوهرٍ
رأيتُ كلَّ طيبٍ ،
رأيتُ خيزرانَةً
تمتدُّ مثلَ مَرَكَبٍ
يصعدُ من أطرافهِ لهيبٌ
والشَّمْسُ والأَيَّامُ
كالسَّمَكِ الطَّافِي —

وانقلب المركبُ ،
صارَ مرجلاً يفورُ ...
وقال آخرون :
(... يسلكُ دربَ الشمسِ ،
فحينما تدخلُ في السَّنبلة
وحينما تدخلُ برجَ الحوتِ
أو تكونُ عند القوسِ
تشتدُّ أمواجهُ
وتكثرُ البلبلة .)
وقال آخرون :
(... فيه من المَحَارِ
ما يخافُ أو يحنُّ مثلُ أمِّ
والقصَبُ المضيءُ
فيه
الغامضُ الشَّريدُ
واللؤلؤُ القريبُ والبعيدُ
والعنبرُ المدورُ الأزرقُ ...
وحينما يبلغه الحوتُ
يطفو ، وبعد برهةٍ ، يموتُ
وقبلَ أن يجرفه التيارُ
أو يغرق

نَشَقُّهُ
ونأخذ العنبر
من جوفه
كقطع الجبال أو أكبر...
... ومرة ،
غسلته بنخل
أطعمته المغنيسيا
وعسل النخل وماء الزاج
وجوهر الزجاج...)

وقيل : كرسي من الزجاج فيه مركب
ملتصق بالشمس فيه لؤلؤ
أو سرطان تائه كالموج ،
والتاريخ مثل طائر منبسط في جسد الإنسان
يصدق أو يطير أو يعيش
في القبور...)

(... وهو غول
يظهر في الليالي ،
ينام في الطريق أو يحوم
يُزيل كل باقٍ

يُتِيهِ كُلُّ سَائِرٍ
وَيَمْلَأُ الْعَامِرَ وَالْخَرَابَ...
هَكَذَا ، يَقُولُ بَطْلِيمُوسُ
وَالْكُوكَبُ الَّذِي يُسَمَّى الْكَلْبَ ،
وَالنَّجُومُ —)

... أَيْتَهَا السَّوَانِحُ اكْتَنَزْتُ —
بَاضَتْ تَمَائِيلُكَ فِي هَوَاتِي
أَجْنَحَةٌ تَطِيرُ فِي ثِيَابِي
هَوَاتِفًا سَمِعْتُهَا تَغْنِي
حَاولْتُ أَنْ أَرَاهَا ،
لَكِنِّي عَجِزْتُ .

مرآة الأوض

هذا الذي يَلجُ في سريرتي
يقتلع النّخيلَ والقبابَ والأجراسُ
يضربُ وجهَ الأرضِ ،
هذا الدّمُ الرّافضُ ، هذا الرّفصُ
تلهّفُ آخرُ ، واشتعالُ
باسمِ الغدِ الطّالِعِ باسمِ الأرضِ -
مملكةِ التّاريخِ ، والحضورِ ، والأعراسِ
تلهّفُ آخرُ ، واشتعالُ
بالزّمنِ الفاتحِ راحتِهِ
مثلي ، بالأرضِ ونورِ الأرضِ .

الممثل المستور

قمر الغوطة

يَدْبُ في عروقي
صَحْوٌ ، وفي رمادي ،
أَقَوْمُ والعَالَمُ حول وجهي بيتٌ ، وكلُّ
زَهْرَةٍ قصيدة .
يَرْتَجِفُ التَّارِيخُ كالطَّيْرَةِ
يَنْتَعِشُ التَّارِيخُ

— أيّ نارٍ
أطفأت ، أيّ نارٍ
أشعلت يا مهيار؟

هبطتُ في منارةٍ
حللتُ في قيثارٍ
وكانتِ الأوتارُ مثلَ جرحٍ ينزُّ ، والحياةُ
سَجَادَةٌ في القصر ، والتَّارِيخُ مثلَ خرقَةٍ يَجْرُقُهَا الفُراتُ
وكلُّ ما للأرضِ والسَّمَاءِ من طيورٍ
فاكهةٌ تنضجُ — واختلطنا
وجهي وجهُ الشَّارعِ ، الفرسانُ والخُصُونُ

والزَّمنُ الملفوفُ حولَ النَّاسِ كالوشيعه
والجامعُ الواقفُ كي تُسافرِ الطَّبيعَه
أو يرجعُ الأذانُ .
وقائلٌ يقولُ :
قرأتُ أفلاطونُ
عرفتُ ما يكونُ
سيِّدَةُ القُصورِ قهرمانَه
والقَمَرُ الطَّالعُ قهرمانُ
يسكنُ في حانوتُ
يولَّدُ ، حولَ فنحذها ، يَموتُ ...
وابتدأَ الطَّوفانُ
واختلَطَ المصبُّ - قاسيُونُ
نَهْرُ
وتحتَ بردي طريقُ
لراهبٍ كان اسمُه بحيرَه
وللكلامِ شَجَرٌ ، وللخُطى حنينُ
والله في البيوتِ
يموجُ كالبحيرَه .
وابتدأَ التاريخُ ، وابتدأنا -
... - يا أيها الممثلُ المستورُ يا صوفيَّنا الكبير
ها نحنُ ذاهبونُ

ويعلمُ الله متى نجيءُ
نعرفُ أنَّ الليلَ سوف يبقى
نعرفُ أنَّ الشمسَ سوف تبقى
لكننا نجهلُ ما يكونُ
من أمر قاسيونَ -

هذا النبيُّ الأصغرُ المضيءُ
وما يكونُ المشهدُ الأخيرُ
يا قمر الغوطةِ ، يا صوفيَّنا الكبيرُ .
أصرخُ من دهليزُ
في قلعةِ الرماد - صرتُ جرحاً
في جسدِ القلعةِ ، صرتُ غيماً
يعانقُ الشَّرْفَةَ ، والإفريزُ ،
أصرخُ من دهليزُ :

أحتقرُ الأرضَ التي تكونُ
لؤلؤةً في جوف بلوره
أحلمُ بالحدود بالبلدانُ
مفتوحةً كالبحر ، منذورةً
للحبِّ ،

لونُ الحاجزِ العُبودَةِ
والبرصُ الشمسيُّ ، والسكَّنةُ ، والبرودَه
في جسد الإنسانِ .

الغائب قبل الوقت

أسألتني؟ مُتْ أَوَّلًا ، أو فَاشْتَعِلْ كَالجُرْحِ
واهبطُ في رمادي
واسأل . . . أتسألُ عن بلادي؟
جسدي بلادي .

من أنت؟ هل واكبتَ هَرُولَةَ الكواكبِ
وانحدرتَ مع السيولِ
طلعتَ في شفتَيِ جدارِ
زَهْرَةٍ؟

ألْبِستَ أجنحةَ الفَراشةِ ، غِبتَ في أحشاءِ صَخْرَةٍ
وبسطتَ راحتَكَ ، افترشتَ الشَّمْسَ ،
صيرتَ هسيسَ غَابَةٍ
أسمعتَ أجراسَ الجبالِ تَرنُّ في عُنُقِ السَّحَابَةِ؟
مَنْ أنت؟ أ ، ها... ذاتَ مرَّةٍ
كُنَّا ، مشينا ذاتَ مرَّةٍ :

أنتَ عبدُ الطَّرِيقِ
خِرْقَةٌ في الطَّرِيقِ .

أنتَ جَبَّانَةٌ وعاده . . .
وأنا الفتح والريادة . . .
وتحت أهدابي مدى أحصته
تَشْبِجُ ، والأشباحُ والأمكنة
قوافلُ للخبز والبقول
والزهرُ الطالعُ والأنهارُ والسّهولُ
أحصنةُ تشبِجُ ، والصَّهيلُ
جرحُ ، وللجبالِ وسُوساتُ . . .
نسجتُ من معارجي
أجنحةً للصَّبْرِ
واحتضنتُ الينبوعَ والجُمَانَةَ البيضاءَ والمرايا :
يا شَجَرِ الأيامِ أيَّ شمسٍ
لبستَ في مداري
يا شَجَرِ الدَّوَارِ ، —
وقلتُ — هذي نارُنا ، وهذا
سُرَادِقُ الأخوةِ
والزَّمنُ الأعجفُ قرنُ ثورٍ يَموتُ
والنبوةُ ، —
يا فقراءَ العالمِ النبوةُ
فقرٌ ،
وكلُّ فقرٍ

أولهُ الفضاءُ —

... — «رافقيه

يا نجمة السؤال ، علميه الإعصار والهبوط

في الأعالي ...»

وليس لي إلا دمي ووجهي

وليس لي حنين

إلا لنار الحلم ...

«- انجحرت؟

من أنت؟

أ، ها ... ذات مرة ...

مُت أولاً ...»

وُلدتُ في عباءة النبي

وجهي نارُ زوجة

تحلم: «كيف تسقط السيوف

كيف يرجع الجندي ...»

وجهي مثل كوكب

يحضن كل جامد وميت وحي

أحلم باسم العشب

حين يصير الخبز كالجحيم

حين يصير الورق الميت في كتابه القديم

مدينة للرعب

أحلمُ باسمِ الطينِ
كي أمحو الرّكامَ
كي أغمرَ الزّمانَ أستعينُ
بالنّسمِ الأوّلِ ، أستعيدُ
مزماري الأوّلَ
كي أغَيّرَ الكلامَ .
والحلمُ اللّونُ وقوسُ اللّونِ
بعدَ رمادِ الكونِ
يُوقظُ هذا الزّمنَ النَّائمَ في بُحيرةِ الجليدِ
أخرسَ كالمسمارِ
يُفرغه كجُرْنٍ
يُسلمه للنّارِ
لِلزّمنِ الطّالِعِ من خميرةِ الأجيالِ
في قدَمِ الأطفالِ -
الزّارعينَ بذرةَ البَكَارَةِ
الحاملينَ الضّوءَ والشرارةَ .
غَسَلْتُ راحتيّ من حياتي -
من هذه الفراشةِ
صالحتُ بينَ الدّهْرِ والهشاشةِ
كي أهجرَ الأيامَ ، كي أستقبلَ الأيّامَ
أعجنها كالخبزِ

أغسلها من صدأ التاريخ والكلام
أذوب في نسيجها حرارة أو رمز ،
ففي دمي دهرٌ من السّبايا
دهرٌ من الخطايا
يجرفه موتي ، وحول وجهي
خضارةٌ تموت .
وها أنا كالنّهر
أجهلُ كيف أمسك الضّفافُ
أجهلُ غير النّبع والمصبّ والمطافُ
حيثُ تجيءُ الشّمسُ
كالعُشبةِ السّاحرة السّوداءُ
حيثُ تشبّ الشّمسُ
كالفرسِ الحمراء
حيثُ تصيرُ الشّمسُ
عرّافةَ الشّقاء والسّعادة
عرّافةً أو أسداً ، أو نسرُ
ينامُ كالقلاده
فوقَ جبين الدّهر .

مرايا للممثل المستور

مرآة للنوم

البطلُ السَّاهِرُ مثلَ موجةٍ
ينامُ
وأرضنا صبيّةً
كانت بلا رأسٍ ولا وسادةٍ تنامُ
والفكرةُ الفراسّةُ الحمراءُ
كانت جثةً تنامُ
يا رَمَدَ الأعضاء يا مسالكَ الرطوبةِ
في جسدي - في جسد العروبة
من أين ، كيف أوقظُ النيامَ؟

مرآة للسؤال

سألتُ ، قيلَ : الغُصْنُ المغطَّى بالنَّارِ ، عصفورٌ .
وقيلَ : وجهي
مَوْجٌ ، ووجهُ العالمِ المَرايا
وحسرةُ البحَّارِ ، والمنارةُ
وجئتُ ، والعالمُ في طريقي
حَبْرٌ ، وكلُّ خَلْجَةٍ عباره
ولم أكن أعرفُ أنَّ بيني وبينه جسراً من الأخوةِ
من خُطواتِ النارِ والنبوةِ
ولم أكن أعرفُ أن وجهي
سَفِينَةٌ تبحرُ في شراره .

صوارة لفارس الرقب

1

حُلْمٌ بثلاثة أعمار
يتحطم ، والجدرانُ رسومٌ
تقطر حبراً ،
والأشجارُ . . .

2

كلُّ ينابيع القرى عبّأت
جرارها ،
وانكسرت فوقه .

3

كان وراء صخرةٍ
مُذْثراً بالرّفصِ
مظلاً بشمس قاسيون
يغوصُ ، محمولاً على سحابة ،

إلى حنايا الأرض
فارسُ هذا الزّمنِ المعجُونُ
بالشّمس والكأبة .

مرآة للقرن العشرين

تابوتٌ يلبس وجه الطفلِ
كتابٌ
يُكتبُ في أحشاء غرابٍ
وحشٌ يتقدمُ ، يحملُ زهرةً
صخرةً
تتنفّس في رثتي مجنونٍ :
هوذا
هوذا القرنُ العشرون .

مرآة للغيوم

أجنحةً ،
لكنّها من شمعٍ ،
والمَطَرُ الهاطِلُ ليس مطراً
بل سُفْنٌ لِلدَّمَغِ .

مرآة معاوية

شَعْرَةٌ تَقْرَأُ الرِّيحَ وَتَبْنِي
مَلَكَهَا فِي تَفْجَرِ الْبَرْكَانِ
فِي زَفِيرِ الْأَمْوَاجِ
وَالزَّمَنِ الْهَائِمِ بَيْنَ الْإِعْصَارِ وَالرَّبَّانِ .

مرآة لخالدة

1 - الموجة

خالدة

شَجَنُ ثُورِقُ الغصونُ

حولَه ،

خالده

سَفَرٌ يُغْرِقُ النَّهَارُ

في مياهِ العيونِ

موجةٌ علّمتني

أنّ ضوءَ النّجومِ

أنّ وجهَ الغيومِ

وأنينَ العُبارِ

زهرةٌ واحده ...

2 - تحت الماء

نمنا في ثوبٍ منسوجٍ

من عُنَابِ الليلِ - اللَّيْلُ هَبَاءٌ ، والأَحْشَاءُ

تهليلُ دمٍ ، إيقاعُ صنوجٍ
وبريقُ شمسٍ تحت الماء .
والليلةُ حبلى ...

3 - الضياع

مرّةً ، ضعتُ في يدكِ ، وكانتُ
شفتي قلعةً تحنُّ إلى فتحٍ غريبٍ
وتعشقُ التطويقا .
وتقدّمت ،
كانَ خصرُك سلطاناً ،
وكانت يداك فاتحةَ الجيش ،
وعيناك منجياً وصديقاً
والتحمنا ، ضعنا معاً ، ودخلنا
غابة النار - أرسم الخطوة الأولى إليها
وتفتحين الطريقاً ...

4 - تعب

التعبُ القديمُ حول البيت
صارت له جرارٌ
وشرفةٌ
ينام في أكواخها ، يغيبُ ، كم قلّنا

عليه في أسفاره ، ركضنا
نطوفُ حول البيتِ
نسأل كلَّ عشبَةٍ ، نُصلِّي
نلمحه ، نصيح : كيف ، ماذا ، وأين ؟ كلُّ ربحٍ
أنتُ
وكلَّ غصنٍ
أتى
وما أتيتُ ...

5 - الموت

بعد هذي الثواني يجيءُ الزَّمانُ الصَّغيرُ
وتجيءُ الخطى والدروب المعادة
بعدها تهرم البيوتُ
بعدها يُطفئُ السريرُ
نارَ أَيْامِهِ ويموتُ
وتموتُ الوسادة .

مرآة لوضاح اليمن

(أصحوت عن أم البنين ...؟)
وضاح اليمن

وضّاحُ ، هل صحوت ، هل رأيتَ
حيث انتهى الماضي وما انتهيت ،
عباءتي ، ورأسي المسروق؟
فحصتُ كلَّ ديرٍ
نقبتُ كلَّ بيتٍ
فتّشتُ كلَّ دنٍّ
سألتُ قهرمانةً للجنِّ ...
فأمسٍ ، والمفتاحُ
يفتح بابَ بيتها
أنزلت في صندوقٍ
مثلك يا وضّاحُ
وأنزل الصندوقَ
في البئرِ ...

كَانَ صَوْتُ

يَقُولُ : «كُلَّ أَرْضٍ

بِثَرٍّ؟

وَكُلَّ حَبٍّ

يَعِيشُ - كُلَّ حَبٍّ يَمُوتُ -

فِي صَنْدُوقٍ» .

سَمِعْتَنِي؟ صَحْوَةٌ؟

كَبُوتٌ مِنْ جَدِيدٍ

وَنَمْتُ؟ كَيْفَ نَمْتُ؟

... وَالنَّهْرُ لَا يَنَامُ

وَقَاسِيُونَ حَارِسٌ كَالدَّهْرِ لَا يَنَامُ

وَالْعُشْبُ لَا يَنَامُ

وَالْخَبْزُ لَيْسَ نَوْمًا

وَالْحَبُّ لَيْسَ نَوْمًا ...

مرآة لبيروت (١٩٦٧)

1

الشارعُ امرأة
تقرأ ، حين تحزنُ ، الفاتحة
أو ترسمُ الصليبَ
والليلُ ، تحتَ نهدها ،
محدّبٌ غريبٌ
عباً في كيسه
كِلابه الفضية النائحة
والأنجمَ المطفأة
والشارعُ امرأة
تعضُّ كلَّ عابرٍ
والجملُ النَّائمُ حولَ صدرها
يغني
للنّفط (كلَّ عابرٍ يغني)
والشارعُ امرأة
تسقط في فراشها

الأيام والجرذان
ويسقط الإنسان .

2

ألوردُ مرسومٌ على الأحذية
والأرض والسَّماءُ
صندوقُ ألوانٍ -
وفي الأقبية
يرتسم التاريخ كالتابوتُ
وفي أنين نجمةٍ أو أمةٍ تموتُ
يضطجع الرجالُ والأطفال والنساءُ
بلا سراويلَ
ولا أعطيه ...

3

جبانةً ،
وصرةً في الحزامِ
من ذهبٍ ،
وامرأةٌ خشخاشةٌ تنامُ
في حضنها أميرٌ أو خنجِرٌ
ينامُ .

مرآة الزلاجة السوداء

— هل قلتَ : وجهي مركبٌ ، جسدي جزيرة
والماء أعضاء تحنُّ؟
— وقلتَ : صدرك موجةٌ
ليلٌ يهرولُ تحت نهدي ...
والشمسُ محبسي القديمُ الشمسُ محبسي الجديدُ
والموتُ أغنيةٌ وعيدٌ؟
أسمعتني؟ أنا غير هذا الليل ، غيرُ سريره اللّزج المُضاءِ

جسدي غطاءٌ —
نسجٌ حبكتُ خيوطه
بدمي وتهتُ ، وكان في جسدي متاهي
أعطيتُ للورق الرياحَ ، تركتُ أهدابي ورائي
حاجيتُ ، من غضبٍ ، إلهي
وسكنتُ إنجيل الرّضاة
كي أكشفَ الحجر المسافر في ردائي ...
أعرفتني؟ جسدي غطائي

والموتُ أغنيتي وقصرُ دفاتري
والحبرُ لي قبرٌ وقاعه
كُرّةُ تقاسمها اليبابُ وشيخَتُ فيها السماءُ
زلاجةُ سوداءُ يسحبُها التفجّعُ والبكاءُ .
أتبعيني؟ جسدي سمائي

أشرعتُ أزوقةَ المدى
ورسمت أهدابي ورائي
طُرقاً إلى وثنٍ عتيق
أتبعيني؟
جسدي طريقي .

مرآة لجسد عاشق

الْجَسَدُ الْعَاشِقُ ، كُلُّ يَوْمٍ ،
يَذُوبُ فِي الْهَوَاءِ - صَارَ عِطْرًا
يَدُورُ ، يَسْتَحْضِرُ كُلَّ عِطْرِ
يَأْتِي إِلَى سَرِيرِهِ
يُغَطِّي
أَحْلَامَهُ ، يَنْحَلُّ كَالْبَخُورِ
يَعُودُ كَالْبَخُورِ .
أَشْعَارُهُ الْأُولَى عَذَابُ طِفْلِ
يَضِيعُ فِي دَوَامَةِ الْجُسُورِ
يَجْهَلُ أَنْ يَظْلَ فِي مِيَاهِهَا ، وَيَجْهَلُ الْعُبُورَ .

مرآة لجثة الخريف

هل رأيتَ امرأة
حَمَلتَ جِثَّةَ الخريف؟
مزجت وجهها بالرَّصيفُ
نَسَجَتْ من خيوطِ المطرِ
ثوبها
والبشرِ
في رماد الرّصيفِ
جمرةٌ مُطفأةٌ .

مرآة لأبي العلاء

أذكرُ أني زرتُ في المعرَّة
عينيكَ ، أصغيتُ إلى خُطاكُ
أذكرُ أنَّ القبرَ كان يمشي مقلِّداً خُطاكُ
وكان حول القبرِ
صوتكُ ، مثلَ رَجَّةٍ ، ينامُ
في جسدِ الأيامِ أو في جسدِ الكلامِ
على سريرِ الشُّعرِ

ولم يكن هناك والداكُ
ولم تَكُ المعرَّةُ . . .

مرآة للعين والزمن

غَنَيْتُ ، قلتُ لأيامي : رفعتُ دمي
مدائناً تَلَدُ الإيقاعَ قلتُ لها
مددتهُ غُصْنًا يشْتاقُ ، يحملني
في نُسْغِهِ ، ويضيءُ الموتَ والكفنا
غَنَيْتُ ، قلتُ لأيامي : أَبَحْتُ دمي
(وربَّ جوهر علمٍ لو أَبَحْتُ به
لَقِيلَ لي : أنتَ ممن يعبد الوثنا)
غَنَيْتُ ، قلتُ . . . فصلتُ الحُلُمَ عن هُدُبِ
يخيطة ، ومزجتُ العينَ والزَّمنَ .

مرآة لأورفيوس

قيثارك الحزين ، أورفيوس
يعجز أن يغيّر الخميرة
يجهل أن يصنع للحبيبة الأسيرة
في قفص الموتى سرير حبّ يحنّ أو زندين أو ضفيرة
يموت من يموت ، أورفيوس

والزمن الراكض في عينيك
يكبو ، وفي يديك
ينكسر القيثار .

المحك الآن على الضفاف
رأساً ، وكل زهرة غناء
والماء مثل صوت ،
أسمعك الآن أراك ظلاً
يفرّ من مداره ،
ويبدأ الطواف . . .

مرآة الطواف

بَعْدَ نارِ الطَّوْافِ ، بعدَ رحيقِ الجرحِ والحلمِ ،
في سريرِ القطافِ ،
سطعتْ شَهْوَةُ العلوِّ ، تسَلَّقْتُ حنيني ونارَهُ ، ورحلنا
عن بلادِ نَزَاةٍ طحليَّةٍ
في بساطِ الخليقةِ الشَّفَافِ .

وأنا اليوم ، نكهةٌ كوكبيةٌ
أتمرأى ، وأصهرُ الدَّهْرَ مرآةً أنخطافٍ لوجهي العرَّافِ
لِلنَّهارِ المسنونِ كالقلبِ ، للفتحِ ،
لِسُحْرِ الأبعادِ والأطرافِ .

كيمياء النرجس

ألمرايا تُصالح بين الظهيرة والليل ،
خلف المرايا
جَسَدٌ يفتح الطَّرِيقُ
لأقاليمه الجديدة
في ركام العصور
ماحياً نجمة الطَّرِيقُ
بين إيقاعه والقصيدة
عابراً آخر الجُسورُ

... وقتلتُ المرايا
ومزجتُ سراويلها النرجسية
بالشموس ، ابتكرتُ المرايا
هاجساً يحضنُ الشمسَ وأبعادها الكوكبية .

صنّين

صنّين
يقرأ في عُرفته العارية
لليل ، للأشجار ، للسّاهرين
أحزانهُ العالیه .

ياسمينه

مُحمَّدٌ سافرَ في رغيهِ
ولم يَعدْ .
وسارَةً تهبطُ في مغارهِ
تسألُ عن صديقها الشَّقِيقَ والحجارَةَ
تذوبُ في منديلٍ
وأحمدُ يغني
أغنيَّةَ المهاجرِ ، الضَّائعِ في بلادِ
تأْكُلُ حتَّى جثَّةَ القتيلِ
وصالحٌ يدورُ في سحابةِ
تُوصِلُهُ رياحُها الأَمِينَةَ
إلى ذُرَى حديقةِ
لا جثَّةَ فيها ولا ذبابةَ —
وكنْتُ أَسْتَيْقِظُ في قصيدتي
في شعبيِّ الطِّفلِ ،
كياسمينه .

القشرة والأيام

قشرة . غابت المدينة ، رملٌ حول رأسي . يداي ، خاصرتي ..
رمحان ، والأرضُ فوهةً .
— قَشَرْتُكَ الشَّمْسُ ، واجْتَنَحَ وجهكَ الإعصارُ
ونخبا البرق : هذه جثة العالم ، هذا ضريحُها السَّيَّارُ

ويدي قبضةٌ من الأرض لا تحمل غير الأكمام والأحلام
غسلتها عيناى ، لا وَرَقُ التاريخ فيها ولا دروبُ الكلام
هي بيتي ، وجسري الأخضرُ الطَّالِعُ بين الأيامِ والأيامِ .

القصيدة

أسمعُ صوتَ الزَّمنِ : القصيدةُ
يَدُّ هنا هنالك ، القصيدةُ
عينانِ تسألانِ -
هل أغلقِ النُّسرينَ بابَ كوخهِ
هل فتح الإنسانُ
بوابةً جديدةً؟

يَدُّ هنا هناك ، والمسافةُ
تنوسُ بينَ الطفلِ والصَّحِيهِ
لكي تجيء النّجْمَةُ الخَفِيَّةُ
وترجعَ الدُّنيا إلى الشَّفَافَةِ .

1

سقطتُ حجّره
فتفتّح شيءٌ في الجدرانِ
صار البُعدُ أحنَّ وأشهى ...
سقطتُ حجّره
فتغيّر شيءٌ في الإنسانِ .

2

من زمانٍ عشقتُ الحجّرَ
وانجبِلنا معاً وافترقنا ،
من زمانٍ رأيتُ الحجّرَ
سُرّةً ، والمرايا
موعداً ، والتقينا
وانجرّحنا ، ونمنا وقمنا
وافترقنا ، وعدنا

وأنا اليوم أنأى وأنفذ ممّا تقول المرأيا
فأنا أول الشّطايا ، أنا آخر الشّطايا ...

3

حَجَرٌ يحمي نهد الحبلى
حَجَرٌ يَسْكُرُ
يترنّح في أهداب الشاعر
ويصير يمامة
ترقد في أهداب الشاعر
حَجَرٌ يسهر
ويصير ستائر
تتدلّى حول جبين الشاعر
ويصير غمامه ...

4

دُّليّه يا غمامه
يجهل أن يسير يا غمامه
في لَوَلَبِ الظلام
وحينما يخرجُ صوب النور
والجهة الخفيّة
في وطن الكلام

أَبْرَأَ مِنْ بَرَاءَةِ الْعَصْفُورِ
تَرْمِيهِ بِنَدَقِيَّةٍ .

دَلِّيهِ يَا غَمَامَهُ
خُذِيهِ وَاغْسِلِيهِ
مِنْ لَيْلٍ قَاتِلِيهِ
بِاللَّهِ يَا غَمَامَهُ .

الرغيف

عاد الرغيفُ إلى خميرته

يُهاجرُ في قصيده

مثلي ،

سرّينا حافيين ،

— أكلت؟

— لا .

— ودّعت؟

— لا .

— عاندت صوتك ، وهو يفتح جرحه الملكي ، يصرخ؟

— لا .

سرّينا

في قاع أغنية ، رأينا

سُفُنَ الحروفِ الجارياتِ — نقلتُ عن وجهي حُرُوفي

ولبستُ قبعةَ الخريفِ

كي أفهمَ القبرَ المسافرَ ...

وانحنينا

وتنهّد الحَوْرُ الحزِينُ يقولُ ، أسمعُه يقولُ
أنا والرّغيفُ علامتانِ وكلّ أغنيةٍ رسولُ
والماءُ جَمجمةٌ بعيدةٌ .
أنا والرّغيفُ دَمٌ – سرّينا
بكتِ الشوارعُ وانحنّتْ
رُكَبُ المآذنِ ،
وانحنّينا . . .

الشهيد

حين رأيتُ اللَّيْلَ في جفونهِ الملتهبه
ولم أجد في وجههِ نحيلاً
ولم أجدُ نجوماً ،
عَصفتُ حولَ رأسه
كالريحِ - وانكسرتُ مثلَ قصبَةٍ .

وجه البحر

أسمعُ في مهيأز
قصيدةً

تَعْرِفُ أن تجرحَ ليلَ القَبْرِ
بالشَّمْسِ ، أن تَجِيءُ
في قَدَمِ الشَّمْسِ وَوجهَ البَحْرِ ...

الموت

حين رأيتُ الموتَ في طريقي
رأيتُ أفكاري
رأيتُ وجهي
قاطرةً تمتدُّ كالضبابِ
وكنْتُ مستجيراً
بالبرقِ ، مرسوماً على الترابِ .

حوار

لا تَقُلْ كان حَبِي
خاتماً أو سِوار
إنَّ حَبِي حصار
إنَّه الجامحون
يُبَحرون إلى موتهم ، يَبْحَثون .
لا تَقُلْ كان حَبِي
قمرأ ،
إنَّه شَرار .

الدم النافر

أحلمُ -
لَنْ يَكُونَ هَذَا الصَّوْتُ
صَوْتِي ،
أَنْتَ الْجَنَّةُ الطَّرِيحَةُ
أَنَا الدَّمُ النَّافِرُ مِنْ حَضَارَةٍ ذَبِيحَةٍ
يُشْعِلُ نَارَ الْمَوْتِ
يُطْفِئُ نَارَ الْمَوْتِ .

الوردة

خُذْ وَرْدَةً مُدَّهَا وَسَادَةً -

بعدَ حينٍ

تَصْهَرُكَ الْمَهْزَلَةُ

فِي حَمَاءٍ ، فِي طِينٍ

تَضُمَّكَ الْقَنْبَلَةُ

لِمَلِكِهَا ،

بعدَ حينٍ

خُذْ وَرْدَةً سَمَّهَا

أُغْنِيَّةً ،

وَعَنٍّ لِلْعَالَمِينَ .

العصفور

أصغيتُ :

عصفورٌ على صنّين
يَضجُ كي تسيطر السّكينة
كي يُصبح الغناء
كشفرة السّكّين
يجرحُ بالبعّة والبكاء
برودة المدينة .

المئذنة

بكتِ المئذنةُ
حين جاء الغريبُ - اشتراها
وبنى فوقها مدخنه .

غبتَ ، اختفيتَ؟ عرفتُ أنكَ سائحٌ
شرراً ولؤلؤةٌ وموجٌ غوايةٍ
تمضي تَعُودُ معَ الفصولِ
ورأيتُ ناركَ في الحقولِ
عيناكَ أجنحةً ووجهك طالعٌ
كالأفقِ ، يكتنزُ الشمسَ ، ويغسلُ الأرضَ الكثيبه
غبتَ ، اختفيتَ؟ رأيتُ وجهكَ في الحقولِ
ماءٌ يسافرُ في الجذورِ إلى مدائنه الغريبه
في العشبِ ، في نَهْرِ الفصولِ .

الموج

مَوْجٌ رَفَعْتُ عَلَى أَدْرَاجِهِ جُزُرِي
وَرَحْتُ أَبْدَأُ تَارِيخِي -
أَفْتَتُهُ
أَلَمَّهُ
وَأَنْقِيهِ ، وَفِي لَغْتِي
مَسَافَةُ الْمَوْتِ تُخَيِّبُنِي ، وَفِي وَرَقِي
مَسَافَةُ الْجَرْحِ ،
مَوْجٌ أَمَرُ الصُّورِ
مَوْجٌ يُوَاحِي طَرِيقَ الشَّمْسِ ، يَفْتَحُ فِي صَدْرِي مَحْطَاتِهِ ،
مَوْجٌ يَعْلَمُنِي
أَنَّ الْأَقَاصِي مَدَارُ الْحَلَمِ وَالسَّقَرِ .

المدينة

نمتُ مع المدينةُ
في أول الغصونِ في بدايةِ الجراحِ
كانت على سريري
أقلق من سفينة
في اللجّ . واللقاحِ
ينخضها ، يفتحُ كلَّ عِرْقٍ . . .
واستيقظتُ ، كانَ السريرُ نَهراً
للحبِّ ،
واللقاحِ
تاريخ عاشقين
وكان نهداها مدينتين .

نبوءة

للوطن المحفور في حياتنا كالقبر
للوطن المنحدر المقتول
تجيء من سباتنا الألفي ، من تاريخنا المشلول
شمس بلا عبادة
تقتل شيخ الرمل والجرادة
والزمن النابت في سهوبه
اليابس في سهوبه
كالفطر
شمس تحب الفتك والإبادة
تطلع من وراء هذا الجسر . . .

الغرب والشرق

كان شيءٌ يمتدُّ في نَفَقِ التَّارِيخِ
شيءٌ مَزِينٌ مَلْغُومٌ
حَامِلاً طِفْلَهُ مِنَ النُّقْطِ مَسْمُوماً
يَغْتَنِيهِ تَاجِرٌ مَسْمُومٌ
كَانَ شَرْقٌ كَالطَّفْلِ يَسْأَلُ ،
يَسْتَصْرِخُ
وَالْغَرْبُ شَيْخُهُ الْمَعْصُومُ

بُدِّلَتْ هَذِهِ الْخَرِيطَةُ
فَالْكَوْنُ حَرِيقٌ
وَالشَّرْقُ وَالْغَرْبُ قَبْرٌ
وَاحِدٌ
مِنْ رَمَادِهِ مَلْمُومٌ . . .

سنبلة

وقفت سنبلة

بين وجه الشريد وأيامه ، وقفت سنبلة

وأشارت -

رأيتُ النهارَ

جرساً يفتح الشبابيكَ والمدنَ المقفلة .

وقفت سنبلة

في مدار الينابيع في شهوة الغبار

ورأيتُ العصافير تبني ، وكان المطرُ

سفنًا تجرف الجليدَ

في طريق البراعم والعشب ، كان الشجرُ

سفنًا تحمل المدائن أو تأخذ القمرَ

في مهبّ الفضاء الجديد .

قبلُ أو بعد ،
 يولد الكون مربوطاً بقرني غزالة مسحورة
 راسماً ظله على الأشجار :
 عُصْنٌ صورةٌ له
 عُصْنٌ يزهر بين المسمارِ والمسمارِ
 عُصْنٌ عاشقٌ حنانَ النارِ -
 أنا تاريخ ذلك العُصْنِ السائح
 في غابة الرؤى والمجاعة
 سار وجهي في قبة الموت
 واسترجع سحراً يُضيئه ، وأضاعه
 فدعوتُ الجَمْرَ الصديق وبخرنا
 مداه ، وموجه ، وشراعه
 وحملتُ العشب الرّضيع كأهدابي
 وسافرتُ في حنين الرّضاغه
 في رياح غريبةٍ منذوره
 لدمي جارحاً ،
 لحبيّ مربوطاً بقرني غزالة مسحوره .

أومات -

جئتُ إليك حنجرةً يتيمة
أقتاتُ ، أنسجُ صوتها الشُّفقيّ من لغةٍ رجيمة
تتبطّنُ الدنيا وتخلعُ بابَ حكمتها القديمة
وأُتيتُ ، لي نجمٌ ولي نارٌ كليمة :
يا نجمُ ، رُدّ لي المجوسَ
وأنتِ يا نارُ استبيحي
فالكونُ من ورقٍ وريحٍ
ودمشقُ سرّةِ ياسمينٍ
حُبلى ،
تمدّ أريجها
سقفاً
وتنتظرُ الجنينَ .

سأسمي التحول ربان أيامك الجديدة
يا بلاد الخليفة والتابعين
وأسمي
وجهك المغلق الدفين
كوكباً ، والقصيدة
هالة الفارس الغريب
حول أيامك الجديدة .

الؤلؤة

كيف أمشي نحو شعبي ، نحو نفسي
كيف أمضي نحو تهيامي وصوتي ، كيف أصعد؟
لست إلا نهرًا
حاضيًا لؤلؤة الشعر
والأ
حُلماً -
أني ضوء
سائح في جسد الليل ،
وأني
جامحٌ احتضن الأرض كأنثى
وأنا
موقظاً حُبِّي فيها
لهباً يفتح ،
يستنزل فيها
آية ،
أني كتاب

وأعضائي كلامٌ .

كيف أمشي نحو نفسي ، نحو شعبي
ودمي نارٌ وتاريخي ركامٌ؟
أَسْنِدُوا صدريَ -

في صدري حريقٌ
ومسافاتٌ

وأجسادُ عصورٍ تتجرجرُ
والتواريخُ مرايا

والحضاراتُ مرايا
تتكسرُ .

لا ، دَعُونِي :

إنني أسمع أصواتاً تغني في رمادي
إنني ألمحها تمشي كأطفال بلادي .

كتاب المطابقات والأوائل

(1979)

الكتابة

ألفضاء دم واجتياح ، -
جعلت الكتابة مهوى :

كلماتي تدلت
جسدي يتدلى
ورأسي يذنو

/... طائرٌ

باسطٌ جناحيه ، - هل يخشى

سقوطَ السماء؟ أم أن لـ

الريِّح كتاباً في ريشه؟ الـ

عُنُقُ استمسك بالأفقي

والجناح كلامٌ

سابعٌ في متاهةٍ ... /

الشعراء

لا مكانٌ لهم ، - يُذفَتونُ
جسد الأرضِ ، يصنعونُ
للفضاءِ مفاتيحَهُ ، -

لم يُقيموا
نسباً أو بيوتاً
لأساطيرهم ، -

كتبوها
مثلما تكتب الشمسُ تاريخَها ، -

لا مكانٌ ...

الاسم

سمينا
شجر الزيتون علياً
والشارع فاتحةً للشمس،
الرياح جواز مرور
والعصفور طريقاً . . .

التجربة

حسنًا ، لن أنام
سأحاول أن أتقرّى درويبي ، وأعرف ما يعرف الآخرون .

حسنًا ، سوف أدخل هذا الزحام ، -
خطوة ، خطوتان ، ثلاث ... /

رجلٌ ميّتٌ ، شرطيُّ
رجلٌ ميّتٌ ، شرطيُّ
رجلٌ ميّتٌ ، شرطيُّ ... /
/لن تكونَ علينا شهيداً/

ها أنا في محيط الكلام
ورقٌ سابحٌ ، ورأيت كأني أكرر ما قاله الآخرون
ورأيت كأني أنام .

الأطفال

قرأ الأطفالُ كتابَ الحاضرِ ، - قالوا :
هذا زمنٌ
يتفتّح في رحمِ الأشلاء ، -

كتبوا :
هذا زمنٌ شاهدنا فيه
كيف يُربي الموتُ الأرضَ ،
وكيف ينحون الماءُ الماءَ .

الشاعر

العالمُ يشحبُ ، والكلماتُ نساءُ
يقرؤهنَّ ،
يراودهنَّ كموتٍ :

ما يقتلهُ ، يُحييه
يصنعُ من كفنِ التاريخِ سريراً آخرَ ، يولدُ فيه .

التائم

لم يكن بيننا مدى -
شجر الحب غباراً ،
والليل مركبة تحمل خطوي ، وتحمل الصَّحراءَ

لم يكن بيننا مدى -
كانت الساعة عُزياً
وكان موتي رداءً :
وارثُ الرَّمْلِ
يحمل الحجرَ الأسودَ خبزاً
والشمسَ ظلاً وماءً .

الجنون

كذبوا -

لاتزال طريقي طريقي
والجنون الذي قادني لا يزال أمير الجنون

وأنا سيّد الضوء -

لكنني كي ألامس أقصى المسافات
أخلع نفسي ، حيناً ،
وأخرج من خطواتي

وأتوج نفسي

ملكاً ، باسم ضوئي ، على الظلمات .

الحوار

ها هُنا نلتقي ونغتني ونكتبُ

— هذا قليلٌ

ونسيرُ ، ونهتفُ

— هذا قليلٌ

ونشقُ الطريقَ ونهجمُ

— هذا قليلٌ .

ونغيرُ هذي الوجوهَ ونجرفُ هذا الظلامَ ،

— قليلٌ ، قليلٌ .

[إنه ، الآن ، يعبر بين الحطامِ

ويقول لأحلامه وخطاهُ :

ليس هذا جديراً ، ولا كافياً] .

وافترقنا :

سيكون لنا موعدٌ آخرٌ للكلام .

أدونيس

قال : هذا الشَّجَرُ
لا يزال ، كما كنتُ ، في سنوات الصُّغُرِ
أَلَدُّوبُ إليه كتابُ
والحقولُ الصُّورُ .

حي الميدان

جئتُ ، وجاء الصوتُ ، وجاء الليل / مزجتنا
بالنار ، وبالجسدِ الألوانُ
ورسمنا
نهدتينِ ووجهاً

كان الصوتُ رقيقاً أسودَ ، كان الليل أنيناً –
والقمرُ الشاحبُ مكسورُ
في بيتٍ من خشبٍ
في حيِّ الميدانِ .

قيس

كان قيسٌ يقول : اكتسيتُ بليلى
وكسوتُ البَشْرَ

ورأيتُ إليه يُغَطِّي
وجنتيه بنارٍ
ويسامرُ غاباتِها ويُطِيلُ السَّمرَ .

ورأيتُ إليه يلمُ القمرَ
حُفنةً حُفنةً من ضِفافِ السَّهرِ .

جلقامش

كان بيني وبين طريقي مثلُ الحدادِ
حين راحت بلادِي تضيق وتجتاحني صَبَواتُ
غيرُ ما كان بيني وبين خُطايَ - إذنْ
متُ ،
وانطفأتْ كلماتي؟

هل أقول ، إذنْ : ضاعَ وجهي؟
هل أقول : ابتكرتُ الرّماذُ؟

النفري

ساوتني شمسي بالأشجارِ
وبالأنهارِ
وبالبؤساءِ / سلوها
كيف نفّتني

نثرتني في الطُّرقاتِ وفي لهجاتِ الغربةِ ، كَلّا
لا تسلوها

أسلمتُ لتيه الشمسِ خطايَ -
رضيتُ لوجهي هذا المنفى .

حي الشاغور

شيخ : وردة أحلام
تذبلُ في عينيهِ ،
ساقُ الوردِ عَكَازُ
مَخْنِيُ
يعرجُ
في
ساقِيهِ ،

والأوراقُ جِرَاحُ
تتطايرُ من كَفِّهِ .

الثورة

رمزاً ، أو جسراً
لسقوط يأتي
لنهايات أخرى ، -
أتنشقُ هذا الحجر السَّابحَ في رثيكِ ، وأزفرُ
هذي رثتي
في الجهة الأخرى من ذاكرتي .

غنيتُكِ في صوت الأحياء ، نقشتكِ في صمتِ الأمواتِ
وكتبتُكِ في اللهجات ، وفي الطُّرقات ، وكل فضاءٍ ، حتَّى
أغرَّتني كلماتي
أن أمحو نفسي ...

أرماذكِ هذا؟ لكن
هل كل رماد يصنع وجْهاً؟
لا أعرفكِ الآن ، سؤالٌ :
هل أنتِ الجِبرُّ أم الممحاة؟

لا ألمحكِ ، الآنَ ، ضبابٌ :
هل أنتِ الوجهُ أم المرأةُ ؟

الأطفال ٢

هوذا التاريخ ركامٌ
والناسُ دمٌ يتخثرُ ، والأيامُ قبورُ/
عن أيّ فضاءٍ
عن أيّ دروبٍ تنشقُّ الأيامُ؟

سمع الأطفالُ سؤالَ النارِ وناموا
الجسمُ كتابٌ من لَهَبٍ
والوجهُ سلامٌ .

قاسيون

زائرٌ يقرعُ البابَ / أهلاً
بصديق الغفاري ،
أهلاً .

— مَنْ رأيت؟ وماذا سنفعل؟ هذا
مِزودٌ للطريق ، وهذا
غَضَبٌ شاءه الجامحون :

لن يكونَ ظلامٌ على قاسيون .

أبو تمام

يحدثُ أن يأتيَ ليلٌ وأنْ
يقرأَ للضوءِ كتابَ الظلامِ

يحدثُ أن يُصْغِي شعري ، وأن
يقولَ للشمس : هنا عهدُنا

صبرُنا دماً فرداً ، وصار المدى
في وجهِنا ، مُستقبلاً للكلامِ .

شعرٌ في شهواتي ، بين جفوني ، فوق سريري
شعرٌ/ جسدٌ ،

كالأرض غريبٌ
كالأرض أليفٌ ،

والجنسُ قميصٌ من نورٍ .

رينيه ماريا ريلكه

بعد أن تستسلم الوردة للشمس ، وتذوي
تَرث الرِّيحُ الغُبَارَ الذهبيَّ
وتقول الأرض عن أشلائها :
هذه أغنيتي رُدَّتْ إليّ .

أبو نواس

لغة - فتنّة / كلمات - دم
والسّماءُ مفترّق
وأنا عابِرُ
بالسّماءِ يلتطمُ .

كي يظلّ امرؤ القيس وعداً
ويكونَ لغُروّة أن يُطعمَ الفقراءَ ، —

رَسَمَ الغاضبونَ خطاهم
لهباً واختراقاً ،
وأباحوا الفضاءَ .

أول الشيء

كيف أعطيك شكلاً

أيهذا الصديق الذي لا يزال يعاند؟ سميتك الشيء - قلت :
امتلكتك . لكنك الآن تنفر ، واسمك ينفر/ ماذا أسميك؟
هذا مكانك؟ غيرت نورك أم أنني
لست نفسي؟ أنا أنت؟ لكن ضوءك مازال يسطع - كاد
الحريق

أن يجوس عروقي ملتهماً كلماتي - مهلاً
أين ، أنى ، وكيف أسميك ، أعطيك شكلاً ،
أيهذا الصديق؟

أول الخلت

ها أنا أولدُ الآنَ -
أرِنو إلى الناسِ :
أعشِقُ هذا الأنينَ / الفضاءُ
أعشِقُ هذا الغبارَ يَغطِّي الجبينَ / تنوَّرتُ
أرِنو إلى الناسِ - نبعُ / شرَّ
أتقرِّى رسوميَّ - لا شكْلَ غيرُ الحنينِ
وهذا البَهاءُ
في غُبارِ البشرِ .

أول الجسد

زهرة الأقحوان

سرقَت نفسها من شقوقِ الزَّمانِ
فرشتها سريراً .

رغبت أن تمتدَّ خطاها
شارعاً وتوازت

مع سريرٍ على بَرْدِي / والمكان
غيرُ هذا الذي يتسمَّى
قاسيون ، وغيرُ السَّماءِ - المكان

زهرةُ الأقحوان .

أول الكتاب

فاعلاً ، أو ضميراً –
والزمان هو الوصفُ . ماذا؟ تكلمتَ ، أو يتكلم
باسمك شيءٌ؟

تستعير؟ المجازُ غطاءٌ
والغطاء هو التَّيهُ –
هذي حياتك تجتاحها كلماتُ
لا تُقرّ المعاجمُ أسرارها/ كلماتُ
لا تجيبُ ، ولكنها تتساءلُ – تيهُ
والمجازُ انتقالُ
بين نارٍ ونارٍ
بين موتٍ وموتٍ .

أنتَ هذا العبور الذي يتقرّى ، ويولد في كل معنى :
لن يكونَ لوجهك وَصْفٌ .

أول الحروف

لم يعد للقصيدة
غيرُ هذا الصدى –
أتياً من رُكام المدائن ، مستوحشاً ،
أعيدي :
«لم يعد للصدى
غير أن يتلبسَ نارَ الكلام . . .»

من رآك تجرّينَ خطوكِ بين الحطامِ
غيرُ هذا الكلام – أعيدي :
«لم يعد للصدى
غير هذي القصيدة . . .»

أول الكيمياء

لا أريدُ لمهيارَ أن يترسّمَ خطَّ السّوادِ -

يكون ، إذن ، عاصياً .

لا أريدُ لمهيارَ أن يترسّمَ خطَّ البياضِ -

يكون ، إذن ، طيعاً .

لا أريدُ له أن يكون القرارَ

ولا أن يكونَ جواباً -

بل أريدُ لمهيارَ أن يتلبّسَ وجهَ الفضاءِ

مرحباً ، زهرةَ الكيمياءِ

نحن ، هذا الصّباحَ ، شقيقانِ - ندانِ ،

والكونُ فينا سواءُ .

أول العهد

أين صارت رياحك ، مهيار ، أين؟
لا تقل : خائني مداري
لا تقل : ضللتني دروبي ، ولم تهدني خطواتي
أين صارت أغانيك ، مهيار ، أين؟

— أعلن ، الآن ، أختار هذا المكان
كلماتي فؤوس
ولصوتي شكل اليدين
أعلن ، الآن ، أنني حطاب هذا الزمان .

أول الحنين

حَنّ مهيارٌ للقصاباتِ النّحيلةِ في غابةِ الذّاكرةِ
تقرأ الأرضُ كفيهِ ،
والليلُ يلبسُ أهدابهُ/ الذّاكرةِ
عُرسٌ .

كان فجر الينابيع يُثثِمُ والحبّ يكسو
جسدَ الذّاكرةِ
حَنّ مهيارٍ للنارِ تلتهمُ الذّاكرةِ .

أول الشعر ٢

. . . إنه العُزِّيُّ يكشف عن جثثِ الكلماتِ

إنَّه الكونُ يذبلُ
ضَيَّعتُ ناري

لغتي غيرُها
خطواتي
لم تعد خطواتي .

أول اللغة

لم تعد هذه المدينة
أفقاً أو مداراً

ينبغي أن تؤسس حتى نراها
ونرى أننا نراها ،

نظراً لا يزال جنيناً
لغة لا تزال دفينّة . . .

أول الصداقة

في العام الألفين -
أغني الآن ، عنيتُ غداً ، أو بعد غدٍ ، أدعوك إلى مائدتي
وتكونُ الشمسُ ، يكون الماءُ ، يكون العشبُ ضيوفاً /
تتخاصمُ : أيّ رؤانا أعصفُ ،
أيّ خُطانا أنأى -
نتصالحُ تحت سماءِ الشعرِ ،
ونعلنُ مملكةِ الخصمَيْنِ -
ووحدة هذينِ الخصمَيْنِ .

أول الفروقات

خَرَجَ الشَّعْرُ طِفْلاً إِلَى الشَّرْفَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، —
كَانَتْ الشَّمْسُ تَفْتَحُ
وَالرِّيحُ تَمْسَحُ أَهْدَابَهُ النَّبَوِيَّةُ :

لَا صَدَى بَيْنَ صَوْتِي وَهَذَا الْفَضَاءِ ، —
هَلْ حَنِينِي غَيْرُ الْحَنِينِ ، نَدَائِي غَيْرُ النَّدَاءِ ؟

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ جَذَوْرِي
لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ حَضَوْرِي
غَيْرُ هَذِي الْعُرُوقِ النَّحِيلَةِ فِي جَسَدِ الْأَبْجَدِيَّةِ .

أول العشق

قرأ العاشقون الجراح / كتبنا الجراح
زمناً آخرأ ، ورسمنا
وقتنا :
وجهي المساء ، وأهداك الصبح
وخطانا دم وحنين
مثلهم /

كلما استيقظوا ، قطفونا
ورموا حبهم ورمونا
وردة للرياح .

أول الجنون

حين جاءت رياحك تجتاح غاباته الفسيحة
قال : للموت شكلُ الفراشةِ
للجنس وجهُ الجنونِ .

ها هو ، الآن ، يلبسُ ما تلبس الذبيحةُ
غَدُهُ
أَمْسُهُ ،
ومداهُ
شَفَرَةٌ - وغبارٌ من الكلماتِ ،
أمامَ الجفونِ .

أول الطريق

الليلُ كانَ وَرَقاً - وكنا
حبراً :

- «رسمتَ وجهاً ، أو حجراً؟»
- «رسمتَ وجهاً ، أو حجراً؟» .
ولم أُجِبْ ،
ولم تُجِبْ / عشقنا

سكوتنا ، - ليست له طريقُ
كحبنا - ليست له طريقٌ ...

أول الجنس

غُرفٌ تنحني في سواعدٍ ، والجنس يرفع أبراجه –
ارتماءً

في خليج من الحزن ،
حزناً

في خليج الخواصر ؛ – والجنس يفتح أبوابه – دخلنا
كانت النار تزرع ، والليل يَجني قناديلها – مَهَدْنَا
تَلَّةً ، وردَمْنَا

حُفْرَةً ، وهمَسْنَا

للمدى أن يمدَّ يديه...

كان ضوء المرات كالنَّهر – تاهتْ

ضِفَّتَاهُ ، جعلنا

ماءَهُ ماءً ، وجعلنا

ضِفَّتَيْنَا لباساً

لهوى ضِفَّتِيهِ ...

أول الاسم

أيامي اسمُها
والحلمُ ، حين تَسهرُ السّماءُ في أحزاني ، اسمُها
والهاجسُ اسمُها
والعرسُ ، حين يُمزجُ الذّابحُ بالذبيحةِ ، اسمُها

ومرّة غنيّتُ : كل وردةٍ
في التّعبِ ، اسمُها
في السّفْرِ ، اسمُها

هل انتهى الطريقُ ، هل تغيّر اسمُها؟

أول اللقاء

رجلٌ وامرأه
يلتقي فيهما قَصَبٌ وأنينٌ
يلتقي مَطَرٌ وغبارٌ ، —
يتهاوى الركامُ ،
وتشتعلُ اللغةُ المطفأه
أينا الغيمةُ المقبلةُ
أينا دفترُ الحزنِ؟ أسألُ
عيناكِ تيهٌ ،
ووجهك لا يسمعُ الأسئلةَ ،

وأنا منتهى الليلِ ، أعشقُ كي أبدأه
وأقول التقى
رجلٌ وامرأه
رجلٌ وامرأه . . .

أول الفضاء

جَسَدُ الْأَرْضِ يَسْتَتِيعُ النَّارَ،
وَالْمَاءُ أَقْدَارُهُ الْمُرْجَاهُ/
أَلْهَذَا تَصِيرُ الرِّيحُ نَحِيلًا؟
أَلْهَذَا يَصِيرُ الْفَضَاءُ امْرَأَةً؟

أول الجنس ٢

غرفة شُرُفات ظلام

وبقايا جراح
جسدٌ يتكسّرُ -
نومٌ

بين تيهٍ وتيهٍ

دَمنا دائِرٌ في حوارٍ
والمتاهةُ الكلامُ .

أول الرّيح

«جسد الليل» قالت ، وأكملتُ : «بيتُ
للجراح وأيامها . . .» بدأنا

مثلما يبدأ الفجرُ ، ندخلُ في الظلّ
أحلامُنا تتشابكُ
والشمس تفتح أزوارها : «سيأتي
زبدٌ يتقنّع بالبحرِ ، -» كنّا
نتقرّى مسافاتنا / نهضنا

ورأينا إلى الرّيح تمسح آثارنا ، همسُنا
نستعيد مواعيدنا ،
وافترقنا . . .

أول الموت

يصعد الموتُ في درَجٍ - كتفاهُ
بَجَعٌ وامرأةٌ

ينزل الموتُ في درَجٍ - قدماهُ
شُرٌّ، وبقايا
مُدنٍ مُطفآةٍ ، -

والفضاءُ الذي كان أجنحةً ، يتمادى
تمادى ...

أول الحصاد

ظِلٌّ يَشْرُدُ فِي الطَّرِقاتِ وَظِلٌّ يَنْأَى
فِي أَشْجارِ تَنْأَى ، -

زَرَعُوا حُبًّا
حَصَدُوا مَوْتًا

كَفَنُ الذِّكْرِ يَتَحَوَّلُ ، صَارَ طَرِيقًا ، -
نَهَضُوا

حَمَلُوا عَبْءَ الزَّمَنِ الْمَيِّتِ ، وَسَارُوا .

أول التهجية

نقدرُ ، الآنَ ، أن نتساءلَ كيف التقينا

نقدرُ ، الآنَ ، أن نتهجى طريقَ الرجوعِ

ونقولُ : الشواطئُ مهجورةٌ ،

والقلوعُ

خبِرَ عن حُطامِ .

نقدرُ ، الآنَ ، أن ننحني ، ونقولُ : انتهينا .

أول السفر

أَلَمْوَاعِيدُ تَأْتِي وَتَنْطَفِئُ الشَّمْسُ فِيهَا
أَلَمْوَاعِيدُ تَمْضِي وَيَنْفَتِحُ الْجَرَحُ فِيهَا -
لَمْ أَعُدْ أَعْرِفُ الْغُصْنَ ،
وَالرَّيْحُ لَمْ تَتَذَكَّرْ
قَسَمَاتِي ، - هَذَا غَدِي؟ سَأَلْ

العاشقُ ناراً ،
وَحَنٌّ لِلسَّفَرِ الطَّالِعِ فِي وَجْهِهَا ،
وسافرَ فيها . . .

أول السؤال

أفقٌ يتورّدُ ، - لكنّ وجهَ المطرِ
يائسٌ .

أفقٌ يتكسّرُ ، - لكنّ وجهَ المطرِ
عاشقٌ .

مطرٌ عاشقٌ يائسٌ - خطانا
ورقٌ يرتمي في حفرةٍ

كيف لا يغمر الماء هذي الحفرة؟
مطرٌ عاشقٌ ، - لو سألنا :
كيف لا يغسل الماء هذا الثمر -
أتراه يجيبُ الشجر؟

ربّما ، ربّما ...
وأكونُ النزيفَ ، وأمضي
راسماً شرياني سؤالاً على دفتر المطر...

أول الرواية

كان رصاصٌ يهمني
والأطفال شظايا أو راياتُ

. . . ها هي أجسام المحروقين ،
المذبوحين ،
القتلى من أجل الحرية

بُقِعَ شمسِيَّةُ
والكلماتُ ، الآن ، جميعُ الكلماتُ
صارت عَرَبِيَّةً .

أول التسمية

سمّينا
كلّ مكانٍ سيفاً
وأخذنا نبني -

قمرأً من حوارٍ،
غاباتٍ رؤوسٍ،
وكواكبٍ من ليل الأشياء

وأقمنا مملكة الأشياء .

أول الحزن

قالت أحزانُ الشاعرِ للأمواجِ : «رأينا
رأساً يطفو . . .»

والبحرُ يقول : «تطوّحُ ،
لا عاصمَ في سبَرِ الأغوارِ ،
سوى الأغوارِ . . .» وقال الرأسُ : «مشتُ»

أحزانُ الشاعرِ مثلَ عروسٍ
لا عرسَ لها
لا بيتَ لها . . .

أول التاريخ

الذين أتوا ليضيئوا ، يموتون
والشمس تسطعُ في قُممٍ أو تكيّة
باسم صحرائنا العربيّة /

إنّها لحظةُ الخرافة
إنّها رعدةُ الوصولِ إلى آخر المسافة .

أول الطريق ٢

قرأ الأيام كتاباً - فرأى

أنَّ العالمَ يُصبحُ قنديلاً

في ليلٍ مرَّارته ،

ورأى

أنَّ الأفقَ يجيءُ إليه صديقاً ،

ورأى

وجهَ النَّارِ ، ووجهَ الشَّعرِ - طريقاً .

أول الصدق

قافلة لَوَّحت وغابَتْ
وانطفأت بعدها البيوتُ :

لِنَعْتَرِفُ أَنَّنَا نموتُ .

أول الحشد

أصواتٌ

تتعانقُ في السّاحات / جمعنا
عِلْمَ الآفاقِ ، دليلَ الجَمَرِ :

أليومَ ، ووجهُ الأرضِ هلالٌ ،
أليومَ ، سنقتل هذا العَصْرَ . . .

أول الحياة

في نسيج الإبادة

من سماء بلا مَطَرٍ
كان يأتي ،
في دماءٍ تتوجّهُ كان يمشي

ويقول المدى ، ويقول الولادة . . .

أول الاجتياح

لا تقولوا : جُنُنتَ .
جنوني أحلامكم / أتينا
ورسمنا الحقول
جسداً يتفتّح ، كنا نقول
لو نجىء ونغتصب الكون .
جئنا

من يراكم يراني – أنا الوردة الأولى
في رماد المساء انكسرت ، وبالفجر طيبت جذري –
أوراق الزغبيّة
تتقاطر في سّلم /
صوت أت
أم خطى تتناهى؟

من يراكم يراني – أنا كاشف الظنون
وأقدم نفسي للرّعد : هذا شعاع

غَيَّرُوا صُورَةَ الطَّبِيعَةِ
أَمْزَجُوا الصَّخْرَ بِالْجَنَاحِ ، وَبِالْغَبْطَةِ الْفَجْيعَةَ .

كُلُّ شَيْءٍ جَدِيدٌ عَلَى الْأَرْضِ / وَجْهِي فُضَاءٌ
وَالْمَدَى أَوَّلُ الْعَيُونِ

مَنْ يَرَاكُمْ يِرَانِي / صَرَخْنَا :
لَا طَرِيقَ سِوَى النَّارِ ، جِئْنَا
لَا مَجِيءَ إِذَا لَمْ يَكُنْ صَاعِقًا ، وَجِئْنَا
لَمْ تَزَلْ تَكْبِرُ السَّجُونَ
وَالْمَنَافِي تَرْفُ مَعَ الْهُدْبِ ، وَالْخَوْفُ يَعَصِفُ ، وَالْخَائِفُونَ
وَرَقَّ ،
تَكْبِرُ السَّجُونَ /

يَهْبِطُونَ إِلَى الشَّعْرِ فِي جُبَّةٍ ، فِي زَوَايَا
يَسْتَجِيرُونَ بِالْحَدِّ ، يَمْشُونَ فِي فُسْحَةٍ خَرَزِيَّةٍ
وَأَنَا الصَّاعِقُ الْحُدُودَ ، أَنَا الرَّحِمُ الْأَوَّلِيَّةُ .

وَيَقُولُونَ : هَذَا غَمُوضٌ
وَيَقُولُونَ : غَيْبٌ /

غَيْبِي كَلِمَاتِي

غَيْبِي خَطَوَاتِي
وَاجْمَحِي وَخُذِينِي
أَيُّهَا الشَّهْوَةُ الْمَلَكِيَّةُ ؛ -
إِنْ رَأَيْتَ عَلَى مَدْخَلِ الْجَامِعَةِ
نَجْمَةً ، خُذْ يَدِيهَا
إِنْ رَأَيْتَ عَلَى مَدْخَلِ الْجَامِعَةِ
كُوكَبًا ، عَانَقِيهِ . . .
وَكَتَبْنَا عَلَى مَدْخَلِ الْجَامِعَةِ :
التَّوَارِيخُ تَنْهَارُ ، وَالنَّارُ تَطْغَى
خُطَانَا
لَهَبٌ يَتَغَلَّغِلُ فِي جُثَّةِ الْأَرْضِ .
نَسْتَأْصِلُ الْعَائِلَةَ
وَنَقِيمُ الصَّدَاقَةَ / غَنَّوْا
لِلشَّقِيقِ الَّتِي تَجْرَحُ الدَّهْرَ هَذَا
زَمَنٌ يَتَفَتَّتُ / غَنَّوْا
لِهَجُومِ الْفَجِيعَةِ
أَفْسِحُوا لِلْمَقِيدِ أَنْ يُؤْلِمَ الطَّبِيعَةَ
لَأَغَانِيهِ . . . /
تَأْتِينَ تَيَّاهَةً غَارِقَةً
فِي مَحِيطِ الدَّمِ الْعَرَبِيِّ ، تَجِيثِينَ أَشْهَى مِنَ الصَّاعِقَةِ
لَا تَقُولُوا : جُنُنْتُ .

جنوني أحلامكم / أتينا
وهبطنا الظلام ، كسرنا قناديله ، وجثنا
مثل أرضٍ تحنُّ إلى الماء ، جثنا
مثل رعدٍ تدثر بالغيـم / وعدّ :

ستكونون فجراً
سيكون الزمان لأحلامنا شرفات ...

كل شيءٍ جديدٍ على الأرض ، والأبجديّه
لهبٌ ،

والجنونُ
سَقَرٌ بينها وبينني /
أفقٌ
يتهجّى الحدودَ الخفيّةُ ،
واسمنا واحداً -

تأسستُ في شَجَرٍ لا يموتُ
ورأيتُ الخطى ، ورأيت البيوتُ
وهي تنهارُ / هذا شراري

والمسافاتُ حُبلى
واسمُّنا واحدٌ - ونجتاحُ : هذا مدانا

أن نَرُجَّ المداراتِ ، أن لا نكونُ
غيرَ هذا الجنونِ
الجنونِ
الجنونُ .

أول الكلام

ذلك الطّفل الذي كنتُ ، أتاني
مرّةً
وجهاً غريباً .

لم يقل شيئاً . مشينا
وكِلانا يرمقُ الآخرَ في صمتٍ . خُطانا
نَهْرٌ يجري غريباً .

جمعتنا ، باسمِ هذا الورقِ الضّاربِ في الرّيح ، الأصولُ
وافترقنا
غابةً تكتبها الأرضُ وترويهما الفصولُ .

أيها الطّفل الذي كنتُ ، تقدّم
ما الذي يجمعنا ، الآن ، وماذا سنقولُ؟

كتاب الحصار

(1985-1982)

1

أَلَمَدَائِنُ تَنْحَلُّ ، وَالْأَرْضُ قَاطِرَةٌ مِنْ هَبَاءٍ ، -
وَحَدُّهُ الشَّعْرُ ، يَعْرِفُ أَنْ يَتَزَوَّجَ هَذَا الْفَضَاءُ .

2

لَا طَرِيقَ إِلَى بَيْتِهِ ، حِصَارُ
وَالشَّوَارِعَ جَبَّانَةً ؛
مِنْ بَعِيدٍ ، عَلَى بَيْتِهِ
قَمَرٌ ذَاهِلٌ يَتَدَلَّى
فِي خِيوطِ الْغُبَارِ .
قُلْتُ : هَذَا طَرِيقِي إِلَى بَيْتِنَا ، قَالَ : كَلَّا
لَنْ تَمُرَّ ، وَسَدَّدَ نَحْوِي رِصَاصَاتِهِ ، -
حَسَنًا ، لِي فِي كُلِّ حَيٍّ
رَفْقَةٌ ، لِي بَيْوتٌ ...

3

طُرُقُ لِلدَّمَاءِ -

الدَّمَاءِ التي كان طِفْلٌ يُحَدِّثُ عنها
ويُوشِوشُ أَصْحَابَهُ :
لم يعد في السَّمَاءِ
غَيْرُ بعضِ الثَّقُوبِ التي سُمِّيتْ أَنْجَمًا ...

4

كان صوتُ المدينةِ الْطَفَّ من أنْ تشدَّ الرِّيحُ
حَبْلَ أوتارِهِ ، -
كان وجهُ المدينةِ يَزْهُو
مثلَ طِفْلٍ يُهَيِّءُ لِلَّيْلِ أَحْلَامَهُ
ويقْدِمُ كَرْسِيَهُ لِلصَّبَاحِ .

5

وجدوا أشخاصاً في أكياس :
 شخصٌ لا رأسَ له
 شخصٌ دونَ يدينِ ، ودونَ لسانٍ
 شخصٌ مخنوقٌ
 والباقون بلا هيئاتٍ وبلا أسماءٍ
 - أجننتُ؟ رجاءُ
 لا تكتبُ عن هذي الأشياءِ .

6

صفحةٌ من كتابٍ
 تَتمرأى قنابلُ فيها
 تَتمرأى النبواتُ والحِكَمُ الغابِرةُ
 تَتمرأى محارِبُ ، - سَجَادَةُ مِن حروفٍ
 تتساقطُ خيطاً فخيطاً
 فوق وجه المدينةِ ، من إبرِ الذَّاكرةِ .

7

قاتِلٌ في هَواءِ المدينةِ ، يَسبحُ في جُرْحِها ، -
 جُرْحِها سَقَطَةٌ
 زلْزَلَتْ باسمِها - بنزيفِ اسمِها

كلّ ما حولنا
البيوت تغادر جذرائها
وأنا لا أنا .

8

ربما جاء وقتٌ ستقبلُ فيه
أن تعيش أصمّ وأبكم ، لكن
ربما سمحوا أن تُتمّم : موتٌ
وحياةٌ
وبعثٌ ،
والسلام عليكم ...

9

من نبيد النخيل إلى هدأة الصّحارى ... إلى آخره
من صباح يُهرّب أحشاءه
وينام على جُثثِ الثّائرين ... إلخ * ،
من شوارع ، من شاحناتٍ
للجنود ، الحشود ... إلخ ،
من ظلالِ رجالٍ نساءٍ ... إلخ ،
من قنابلٍ محشوةٍ بدعاء الحنيفين والكافرين ... إلخ ،

* تقرأ بلفظها الكامل ، كما هي واردة في السطر الأول .

مِنْ حَدِيدٍ يَنْزُ حديدًا وَيَنْزِفُ لحمًا . . . إلخ ،
مِنْ حَقُولٍ تَحْنُ إِلَى الْقَمْحِ وَالْعُشْبِ وَالْعَامِلِينَ . . . إلخ ،
مِنْ قِلَاعٍ تُسَوِّرُ أجسادنا
وَتُهِيلُ علينا الظَّلَامَ . . . إلخ ،
مِنْ خِرَافَاتٍ مَوْتِي تقول الحياة ، تقود الحياة . . . إلخ ،
مِنْ كَلَامٍ هُوَ الذَّبِيحُ ، والذَّبِيحُ ، والذَّابِحُونَ . . . إلخ ،
مِنْ ظَلَامٍ ظَلَامٍ ظَلَامٍ
أَتَنْفَسُ ، أَلْمَسُ جِسْمِي - أَبْحَثُ عَنِّي
وعنك ، وعنه ، وعن غيرنا ،

وأعْلَقَ موتي

بين وجهي وهذا الكلام - النِّزِفِ . . . إلخ .

10

سوف ترى ، -

قُلِّ اسْمُهُ
أَوْ قُلِّ رَسَمْتُ وَجْهَهُ
مُدَّ يَدَيْكَ نَحْوَهُ
أَوْ ابْتَسِمَ ،
أَوْ قُلِّ فَرَحْتُ مَرَّةً
أَوْ قُلِّ حَزَنْتُ مَرَّةً ،

سوف ترى :

ليس هناك وطن ...

11

غير القتل شكل المدينة - هذا الحجر

رأس طفل -

وهذا الدخان زفير البشر .

كل شيء يُرْتَل منقاه / بحر

من دماء - وماذا

تتوقع هذي الصباحات غير شرايينها المبحرة

في السديم ، وفي لجة المجزرة؟

12

سامروها ، أطيلوا السمر

إنها تُجلس الموت في حضنها

وتقلب أيامها

ورقاً شائخاً ، -

احفظوا آخر الصور

من تضاريسها

إنها تتقلب في رملها

في محيط من الشرر

وعلى جسمِها
بُقِعَ من أنينِ البَشَرِ .

13

بِذْرَةٍ بِذْرَةٍ ، تتناثرُ في أرضِنا
فاحفظي سرَّ هذي الدَّماءِ
يا حقولاً تُغْذِّي أساطيرَنا ، -
أتحدّث عن نكهةٍ في الفصولِ
وعن بارقٍ في الفضاءِ .

14

ساحةُ البرجِ - (نقشٌ يوشوش أسرارَهُ
لقناطرٍ مكسورةٍ . . .)
ساحُ البرجِ - (ذكرى تفتّش عن حالِها
في غبارٍ ونارٍ . . .)
ساحةُ البرجِ - (صحراءُ مفتوحةٌ
تصطفِها الرياحُ ، وتجتريها . . .)
ساحةُ البرجِ - (سِحْرُ
أن ترى جُثثاً تتحركُ / أطرافُها
في زقاقٍ ، وأشباحُها
في زقاقٍ / وتسمعُ آهاتها . . .)

ساحةُ البرج - (غربٌ وشرقٌ
والمشائق منصوبةٌ ، -
شهداءً ، وصايا ...)
ساحةُ البرج - (حشدٌ
مِن قوافِلَ : مُرٌ
ولبانٌ ومسكٌ
والبهاراتُ تفتتَحُ المهرجانُ ...)
ساحةُ البرج - (حشدٌ
من قوافِلَ : رعدٌ
وانفجارٌ ، وبرقٌ
والأعاصيرُ تفتتَحُ المهرجانُ ...)
ساحةُ البرج - (أرختُ هذا الزمانُ
باسمِ هذا المكانِ) .

15

- جُثَّتْ أو حُطَّامٌ
وجهُ بيروت؟

- هذا

جَرَسٌ ، أم صراخٌ؟

- صديق؟

- أنت؟ أهلاً .

أسافرت؟ عُدت؟ جديك؟

- جار لنا قتلوه ... /

.....

لعب /

- نَرَدُّكَ اليومَ أقوى ،

- مُصَادَفَةٌ /

.....

ظلمات

والكلامُ يَجْرُ الكَلامُ .

صحراء II

1

... في زمانٍ يُصارحني : لَسْتُ مِنِّي
وأُصارحُه : لَسْتُ مِنْكَ ، وأُجهد أن أفهمَه ...

وأنا الآن طيفٌ
يَتَشَرَّدُ في مَهْمَةٍ
ويُنْخِمُ في جَمِجَمَةٍ .

2

ألفضاءُ مدىً يَتَضَاعَلُ ، نافذةٌ تتنَّاءى ،
والنَّهارُ خيوطُ
تتَقَطَّعُ في رثَيٍّ وتَرْفُو المساءَ .
صخرةٌ تحت رأسي ، -
كلَّ ما قلَّته عن حياتي وعن مَوْتِها
يتكرَّرُ في صمَّتِها .

3

أَتَنَاقَضُ؟ هَذَا صَحِيحٌ
فَأَنَا الْآنَ زَرَعٌ وَبِالْأَمْسِ كُنْتُ حَصَاداً
وَأَنَا بَيْنَ مَاءٍ وَنَارٍ
وَأَنَا الْآنَ جَمْرٌ وَوَرْدٌ
وَأَنَا الْآنَ شَمْسٌ وَظِلٌّ
وَأَنَا لَسْتُ رَبّاً
أَتَنَاقَضُ؟ هَذَا صَحِيحٌ ...

4

مُغْلَقٌ بَابٌ بَيْتِي
وَالظَّلَامُ لِحَافٍ ، -
قَمَرٌ شَاحِبٌ حَامِلٌ فِي يَدَيْهِ
حَفْنَةً مِنْ ضِيَاءٍ ،
عَجَزَتْ كَلِمَاتِي
أَنْ تَوَجَّهَ شُكْرِي إِلَيْهِ .

5

أَغْلَقَ الْبَابَ ، لَا لِيَقْتَدَ أَفْرَاحُهُ
... لِيُحَرِّرَ أَحْزَانَهُ .

6

كل شيءٍ سيأتي ، قديمٌ
فاضطحِبْ غيرَ هذا الجنونِ - تهيأْ
كي تَظُلَّ غريباً ...

7

لم تعد تُشرقُ الشمسُ : تنسلُّ في خِفيةٍ
وتُوارِي
قدميها بِقَشٍّ ...

8

أتوقَّعُ أن يأتي الموتُ ، ليلاً
أن يُوسِّدَ أحضانهُ
وردةً
تعبتُ من غبارٍ يُغَطِّي جبينَ السَّحَرِ
تعبتُ من زفيرِ البَشَرِ .

يهبطُ اللَّيْلُ [هذا]

وَرَقٌ كَانَ أَعْطَاهُ لِلْحَبِيرِ - حَبِيرُ الصَّبَاحِ الَّذِي لَمْ
يَجِيءَ]

يهبطُ اللَّيْلُ فوق السرير - [السرير الذي كان هيئاً
عاشقٌ لَمْ يَجِيءَ]

يهبطُ اللَّيْلُ - لا صوت [غَيْمٌ، دُخَانٌ . . .]

يهبطُ اللَّيْلُ [شخصٌ]

في يديه : أَرَانِبٌ؟ نَمَلٌ؟]

يهبطُ اللَّيْلُ [سُورُ الْبِنَايَةِ يَهْتَرُ، كُلُّ السَّتَائِرِ شَفَافَةٌ]

يهبطُ اللَّيْلُ ، يُصْنَعِي :

[أَنْجَمٌ مِثْلَمَا يَعْرِفُ اللَّيْلُ خُرُسَاءُ]

وَالشَّجَرَاتِ الْأَخِيرَةِ فِي آخِرِ السُّورِ لَا تَتَذَكَّرُ

مَاذَا يَقُولُ الْهَوَاءُ لِأَغْصَانِهَا]

يهبطُ اللَّيْلُ [بَيْنَ النَّوَافِذِ وَالرَّيْحِ هَمْسٌ]

يهبطُ اللَّيْلُ [ضَوْءٌ تَسْرِبَ ، جَارٌ

يَتَمَدَّدُ فِي عُرْيِهِ]

يهبطُ اللَّيْلُ [شَخْصَانِ ، ثَوْبٌ يَعَانِقُ ثَوْباً

وَالنَّوَافِذَ شَفَافَةً]

يهبطُ اللَّيْلُ [هذا مزاجٌ -

قمرُ اللّيل يشكو لسِرِّوَالِه
ما شكاهُ المحبّون دوماً
يهبط اللّيل [يرتاح في جرّةٍ
مُلئتْ خمرهً - لا ندامى
رَجُلٌ واحدٌ يتقلّبُ في كأسِه]
يهبط اللّيل [يحملُ بعضَ العناكبِ ، يرتاح للحشراتِ التي
لا تُسيءُ

لغير البيوتِ / إشاراتُ ضوءٍ :
أملكُ أتى ؟ أم قذائفُ ، أم دعواتُ ؟
وجاراتُنا
كلهنّ ذهبنَ إلى الحجّ - عدن أقلّ ضُموراً ، وأكثر
غُنْجاً

يهبط اللّيل [يدخل بين تُديّ الأيامي
وجاراتُنا أيامي]
يهبط اللّيل [تلك الأريكة - تلك الوسادة : هذي ممرٌ
وهذي مقرٌ]
يهبط اللّيل [ماذا تُعدّ؟ نبيذاً؟ أم ثريداً ولحماً؟
يُخبئ اللّيل عَنّا شهيةَ أحشائه]
يهبط اللّيل [يلهو قليلاً
مع حلازينه ،

مع يمامٍ غريبٍ ، ونجهلٍ من أين جاء ، ومع حشراتٍ

لم تردّ في فصول الكتاب الذي خطّه اللقّاحُ عن
الحيوانِ وأجناسِهِ [

يهبط الليل [رغدٌ
أم ضجيجُ الملائكِ جاءت بأفراسِها؟]
يهبط الليل [يَهْدي
يتقلّب في كأسِهِ . . .]

10

مَنْ يُريني كوكباً
يمنحني الحَبْرَ لكي أكتبَ ليلي؟

11

كتبَ القصيدةَ ، -
(كيف أقنعه بأنّ غدي صحّاري؟)
كتبَ القصيدةَ ، -
(من يزحزح صخرة الكلمات عني؟)
كتبَ القصيدةَ ، -
(لستَ مِنّا ، إن أنتَ لم تقتل أخاً)
كتبَ القصيدةَ ، -
(كيف نفهم هذه اللّغة الطريدهَ

بين التساؤل والقصيدة؟

كتب القصيدة ، -

(هل سيقدر ذلك الفجرُ المشرّدُ ،

أن يعاقبَ شمسَهُ؟)

كتب القصيدة ، -

(بين وجه الشمس والأفقِ التباسُ)

كتب القصيدة ، - (فَلَيَمُتُ . . .)

12

أتكلّمُ؟ عن أيّ شيءٍ؟

وبأيّ اتجاهٍ أسيرُ؟

سألتك يا نَورَساً يتموّج في زُرْقَةِ البَحْرِ . . . / كلاً

من يقولُ : سألتُ ، ومن قال :

أستشرفُ البحرَ ، أو أتحدّثُ مع نَورَسٍ؟

لم أكنُ ،

لم أسيرُ ،

لم أقُلْ . . .

13

سَأُنَاقِضُ نَفْسِي
سَأُضِيفُ إِلَى مَعْجَمِي :
لُغْتِي لَسْتُ مِنْهَا ، فَمِي
لَمْ يَكُنْ مَرَّةً فَمِي -
أَهْ ، يَا نَجْمَةَ الْخَرَابِ ، وَيَا وَرْدَةَ الدِّمِّ .

14

كَانَ لِي أَنْ أُمَزَّقَ ، أَنْ أَتَنَاقَرَ فِي غَابَةِ مَنْ لَهَبُ
كِي أَضِيءَ الطَّرِيقَ ،
مُدَّ لِي يَدَكَ الْحَانِيهِ
رُدَّ مَا أَخَذْتَهُ لِيَا لَيْكَ مِنْ شَمْسِي الدَّامِيَةِ
أَيُّ هَذَا الصَّدِيقُ
أَيُّ هَذَا التَّعَبِ .

15

كُلَّ مَا أَنْكَرْتُهُ الْعَيُونَ سَتَرَعَاهُ عَيْنِي ، -
ذَلِكَ عَهْدُ الصَّدَاقَةِ بَيْنَ الْخَرَابِ وَبَيْنِي .

16

منذُ أسَلَمْتُ نفسي لنفسي ، وساءَلْتُ :
ما الفرقُ بيني وبين الخرابِ ؟
عشتُ أقصى وأجملَ ما عاشه شاعرٌ :
لا جواب .

17

بعدَ أن مَزَقَ الشعرُ ثوبَ الزَّمانِ
صرتُ أدعو الرِّيحَ لأهديها ، لِتَصِيرَ يداها
إِبراً
كي تَخِيطَ بأشلائه المكانَ .

18

ما الذي لَامَسَ المتنبِّئُ
غيرَ التُّرابِ الذي وطئته خُطاهُ ؟
هكذا -
لم يَخُنْ ما تَرَأَى له
في نُبوءاته ، سِوَاهُ .

19

لا تموتُ لأنك من خالقٍ ،
أو لأنك هذا الجسدُ
أنت ميتٌ لأنك وجهُ الأبد .

20

ليكن ،
من حقِّ أحلامي أن تهمل جسمي
ولجسمي أن يخون الأرق السابح فيه...

21

ينبغي أن أدعو الذئب لكي يجلوَ مرآةَ خرافٍ
نسيت صورتها ...

22

لم نَعُدْ نتلاقى
لم يعد بيننا غيرُ تبدٍ ونفي ،
والمواعيد ماتت ، وماتَ الفضاءُ ، -
وَحْدَهُ الموتُ صارَ اللقاءُ .

23

زهرة -

أغوتِ الرِّيحَ كي تنقلَ الرَّائِحَةَ
ماتتِ البارحة .

24

تعبني يرقدُ عصفوراً ، - سَأَبْقَى
مثلَ عُصْنٍ :
لن أبوحَ الآنَ ، لن أوقظه ...

25

الغطاءُ يُشَقُّ ، ويُفْتَضَحُ التَّرجِمانُ
في الحريق الذي يلبس الآنَ وجهَ المكانِ .

26

مقهى - والبحر، اليوم، ينام كطفل /
 هذا وجهه أعرفه - أهلاً، كيف الحال، وهذا
 صوت أذكره ...
 - لم يأتِ الفؤال اليوم ...
 - مريض؟ أم هجر؟
 - مجهولون رموه
 في بئر ...

... / والبحر ينام، اليوم، كطفل ...

27

لست هذي المدينة أو تلك ،
 لست الإقامة والذكريات / الأقصي رهائك - لكن
 خطواتك مدعورة
 وتوارى ذاك الفضاء الذي كنته
 طيوف
 وبوارق من شعله تتلاشى ...

28

خالقُ يأكله الخلقُ ، بلادُ
في الدّم الدّافِق من أشلائها تختبِئُ ، —
إنه العَصْرُ الذي يبتدئُ .

29

كلّما قلتُ : هذي بلادِي تدنو
وتُثمر في لغةٍ دانيةٍ
قدفتني إلى بلدٍ آخرٍ
لغةً ثانيةً .

30

شَجَرٌ ينحني ليقولَ وداعاً
زَهْرٌ يتفتّح ، يزهو ، ينكّس أوراقه ليقولَ وداعاً
طرقٌ كالفواصلِ بين التّنفس والكلمات تقول وداعاً
جسدٌ يلبس الرّمْل ، يسقط في تيههِ ليقول وداعاً
ورقٌ يعشق الحَبِر
والأبجديةَ والشعراء يقول وداعاً
والقصيدة قالت وداعاً .

31

كلّ ذاك اليقين الذي عشتُه ، يتلاشى
كلّ تلك المشاعيل من شهواتي وأشياؤها ، تتلاشى
كلّ ما كان بيني وبين الوجوه المضيئة في هجرتي ، تتلاشى
أبدأ الآن من أولي .

32

يتساقطون ، - الأرضُ خيطٌ من دخانٍ
وأظنّ أنّ الوقت قافلةٌ
تسير وراءه . . .

أشخاص

1

أحمدٌ ...

تحت أهدايه نجوم
غير أن العناكب تنسج أحلامه .

2

يَسْتَضِيءُ سليمانُ ، لكن بقوةِ النَّابِذَةِ
حين قال : اهتديتُ ، وأسلمَ أجفانهُ
لِلضِّيَاءِ الذي شَعَّ في بيته
كان وجه الفضاء غراباً على النافذه .

3

لم يقل قاسمٌ : إنَّ للحلم قاساً
قال : للحلم حَقْلٌ ...

4

وردةً أجهشتُ بالبكاء
حين غطى عليّ بأوراقها وجهه ، -
كان يبكي الطيور التي هاجرت
ويُعزّي الفضاء .

5

فجأة - في تقاطع دربين ، وجه -
هو؟ لكنه مات ، أو قيل مات . ضجيج
عربات
وباعة خسر وتبغ ،
أأناديه؟ ناديت - وجه
لم أميز ملامحه ، ردّ... أهلاً ،
ما اسمه؟
ضجّة ورصاص - فجأة ، وهدير :
صوت نقالة ...

6

كُلُّ نَهَارٍ ...
يَسْتَيْقِظُ قَبْلَ الشَّمْسِ ، لِيَنْظُرَ مِنْ شَرْفَتِهِ
كَيْفَ يُحْيِي الزَّهْرَ
خَطَوَاتِ الْفَجْرِ .

7

— ما الذي يُدْخِلُ الْفَضَاءَ لِعَرْفَتِهِ الدَّامِيَةِ؟
— نَارُ أَشْلَائِهِ الْعَالِيَةِ .

8

إِعْتَذِرْ
لِلدُّرُوبِ الَّتِي ضَلَلَتْهَا
خَطَوَاتُكَ ، وَاخْضَعْ
لِلظَّلَامِ النَّبِيِّ
أَكْثَرَ مِنْ مَارِقٍ أَنْتَ فِي هَوْلِ مَعْرَاجِكَ الْعَرَبِيِّ .

9

لا المداراتُ ، لا اللّغة النّافرة
من جراح المدينةِ أغوتكُ ، - أسلمتَ للحظة العابرة
خطواتكُ ، -

لا شيءَ غير الطّرائدِ في غابةِ الذاكرة .

10

جسمك الآن قنديلُ ظنٍ
والمكان يموجُّ من الرّعبِ ، عيناك لا تُغمضان
خوفاً أن يهربَ المكانُ .

11

لا أريدك أن تتحدّثَ أو أن تلوح : أبهى
أن تظلَّ غيباً
كي تظلَّ سؤالاً .

12

كان هذا مَمَرًا إلى بيتها ، - كثيراً
خبأتنا شجيراتهُ ، ورسمنا
في تقاطيعهِ خُطانا ، -
وهنا كان مروان يجمع أصحابهُ ...
مات ميثاقهم وماتوا
وامّحت هذه العتباتُ .

13

أخذوه إلى حفرة ، حرقوه
لم يكن قاتلاً ، كان طفلاً
لم يكن ... كان صوتاً
يتموّج ، يعلو مع النار ، يرقى على درجات الفضاء
وهو ، الآن ، شَبَابَةٌ في الهواء .

14

ليس منديلُها لِيُلْتَمَ وجهاً
أو يردّ الغبارَ ، وليس لكي يمسحَ الدَّمعَ ، منديلُها
طَبَقُ الخبز والجبن والبيض ، وهو لحافٌ
لِرِشاشِها ، -
كان منديلُها رايةً ...

15

تَرَكَ القافله

ومزاميرها وهواها ، -

مُفَرَّدٌ ، ذَابِلٌ

جذبتُهُ إلى عِطْرها

وردةٌ ذابله .

16

سَتَظِلُّ صديقي

بين ما كان ، أو ما تَبَقَّى

بين هذا الحطام ،

أيُّ هذا البريقُ الذي يلبس الغيمَ ، يا سيِّداً لا ينام .

17

لا يَلْمَحُ غيماً ، لا يَلْمَحُ ناراً -

مِنْ أين إذن ، سَيَجِيءُ الماءُ؟

أيجرّ خطاه مع الكلمات ، ويتبع قافلة الأشياء؟

18

أخذت ما تيسر من خبزها / كان طفلٌ
يتلهى بعكازها
ويدبّ على قدميّها ، -
حملته كجوهرة ، غمرته
ورمت فوقه وجهها
ومضت تتوكأ / عكازها
لأرثها من أب
مات قتلاً ...

19

النهار رغيّف
والمساء إدام له ،
المساء رغيّف
والنهار إدام له
ورق يتقلب في ريحه /
سيكون الشتاء طويلاً
سيموت الربيع بلا أغنيات ، -

إنّ هذا رثاءٌ لليلي التي لم تمُت ...

أحداً كنتَ أو لا أحدٌ

ومضّةً أو رماداً

بين أشلاء هذا الزمانِ ، - سواء قُذِفَتْ إلى ظِلْمَةِ القاعِ ،

أو غَمَرَتْكَ جبالُ الزَبَدِ ،

نكهةُ الفَجْرِ أنتَ ، وضوءُ المسافاتِ أنتَ ، وهذا المدى

لشموسك ، هذا الصدى

لأغانيك ، - صَوْتِي فِي غَصَّةٍ ، ورياحيَ مَنْخُوقةٌ ،

وأغْنِيكَ وَجْهَكَ وَجْهَكَ ، لكن موتك موتي

غير أنني في تَرْفِ جُرْحِكَ ، في نارِ أَوْجَاعِهِ أَتَفَجَّرُ ،

أجلو لنفسي نفسي

وَيُصَالِحُ بَيْنِي وَبَيْنَ حَيَاتِي مِعْرَاجُكَ الدُّمُويُّ

وَأَهَاجِرُ مِثْلَكَ بَيْنَ الْفَجِيعَةِ وَالْفَتْكِ ، وَالرَّعْبِ

يُوغِلُ فِي خَطَوَاتِكَ فِي خَطَوَاتِي ،

وَالْمَوْتُ صَيَادُنَا الْعَرَبِيُّ .

مُتْ لَكِنَّكَ الْآنَ أَنْشُودَتِي وَرَفِيقِي

وَأَنَا لَسْتُ مِنْكَ ، وَلَكِنِّي أَتَمِّي لِهَدِيرِكَ ، لِلْعَاصِفِ

الْمَتَمَوِّجِ فِي سَاعِدِيكَ

وطريقك ليست كما أتتور ، لكنّها طريقي
وأنا الآن أقرب منّي إليك .

وأنا حين أرنو لموتك ، أسأل : هل قدماي على الأرض ؟

هل جسدي راسخ ؟

أم ترى عالق في فضاء من الرعب ، مستسلماً

أتدلى ؟

وأنا حين أرنو لموتك أسأل : هل أنت أقرب منّي إلي ؟

وأسائل : هل وطني هذه الأرض ، أم وطني موْتُك

الأبجدي ؟

لنقل : بيننا عهد نسغ

وطريق - من الجذر حتّى الثمر

لنقل : كل ما كان بين العجينة والخالق انكسر

ولنقل : نبدأ الآن من هجرة الريح في غابة الشرر

ولنسّر ، لا لهذا المكان ، ولا ذلك المكان

لنسّر ، حيث لا شيء إلا الطريق وإلا الرهان

أنا طاقة الجذب والتبذ أن رؤانا

وخطانا مدار

لأساطير هذا الزمان .

1

يهبط الليل من شُرُفاتِ الفضاءِ ،
ويجلسُ في حَيِّنا
هَرِمًا ، شاحِبًا ، -
مَعَهُ تَجلسُ البيوتُ وأحلامُها
تَتَرامى على صدره ،
وتُغازِلُ عُكَّازَهُ ...

2

تنهضينَ مِنَ النُّومِ ، - زَنَدُ حَنِينٍ ،
وزَنَدُ عِناقٍ ،
يَتَبادَلُ أحلامنا جَسَدانا -

نَشْرَبُ الشَّايَ ،
نَسْمَعُ بَيْنَ الْفَنَاجِينِ هَمْسًا .
حَوْلَنَا زَهْرَاتُ
بَعْضُهَا ذَابِلٌ يَتَذَكَّرُ أَوْرَاقَهُ
بَعْضُهَا يَتَعَرَّى ، -

رَغِبْتِي أَنْ أُحَادِثَكَ الْآنَ ، تَجْتَاحُنِي .

3

لَيْسَ قَلْبِي شَرَاعًا وَلَا غِيْمَةً ،
لِيَكُونَ خَفِيفًا وَيَطْفُوَ / قَلْبِي مَدَارٌ
فَلَمَّاذَا ، إِذَنْ ، يَتَطَايَرُ فِيهَا؟
كُلَّ شَيْءٍ يُرَدِّدُ عَنْ حَبْنَا :
السَّرِيرُ
السَّتَارُ
النَوَافِذُ
صَوْتُ الطَّيُورِ - الصَّيْدَى
وَنَسِيمٌ يُوضِوِصُّ مِنْ كَوَّةٍ فِي الْخَفَاءِ ،
كُلَّ شَيْءٍ يُرَدِّدُ عَنْ حَبْنَا :
نَادِرٌ أَنْ يَكُونَ لِزَوْجَيْنِ هَذَا الْفَضَاءُ .

4

الشتاءُ يُودّع أشجاره
 دونَ أن يتذكّر أنا وضعنا
 عنده ، نارنا
 وامتزجنا بأقطاره / الصيفُ يجهلُ أحزاننا
 والربيعُ أسيرٌ لأزهاره
 ولأقلامها -
 (كتبت أمسٍ مرثيةً
 ردّدتها رياح الخريف) / الخريفُ يعلمنا كيف نحيا .

5

- «ما الذي تَسْتَشْرِفُ الآن؟ وما المعنى الذي تبحث عنه؟
 واثقٌ أنكَ تلقاهُ وتلقَى
 من يواخيكَ ومن يُصغي إليك؟

سنغني
 ليكونَ الزّمنُ الطّالعُ باباً
 وتكونَ الرّيحُ مفتاحاً - وضعنا
 لهبَ الأسرارِ فيه ،
 ورماه حَبْناً بين يديك .

**هَذَا مَا كَتَبَهُ
مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى الصِّيدَانِي
قَبِيلَ مَوْتَه**

1

سبقوني إلى زمنٍ آخرٍ
 دخلوا في عيونٍ من الحلمِ في جسدٍ من ضياءٍ ...
 إنَّ جسمي يُقاتِلُ جسمي ،
 وحنيني
 جارِفٌ كي أسافرَ ، كي أتحدّثَ مع رُفَّقائي .

2

كلُّ هذي النجوم التي تتكوَّبُ تِيَاهَةً
 كَتِفٌ واحدَه ،
 تعبَ اللَّيْلِ من عَيْنِهَا
 وأنا مثلهُ
 أتقلبُ في نارها الخامِدة .

— «الدُّرُوبُ بِلاَ مَنَفَذٍ
والبيوتُ وأيامها رمادٌ ،
عَبَثٌ مَوْتُكَ الآنَ ، لا شيءَ غَيْرُ الضِّيَاعِ» .

لا تَسُدُّوا فضاءي
بتعاويدكم ،
واتركوني لهذا الشعاع الذي سَأَسْمِيهِ أَرْضِي :
إنَّها الشَّمْسُ بَيْتِي - بَيْتُ لَنَا ،
وأنا لست إِلَّا انعكاسَ الشعاعِ .

خائفٌ . . .
 هل نسيتُ الطريقَ التي أخذتني
 مرةً ، والتقيتينا؟

كان ما يُشبه الظلام
 كان موجَّ رمينا
 في غواياته جَسَدِينَا
 وهوى جامحاً ، وهَوَيْنَا .

خائفٌ . . . وكأني نسيتُ أسارىها
 ونسيتُ أحاديثنا
 ونسيتُ الكلامَ .

5

سَكَنْتُ وَجْهَهَا
 سَكَنْتُ فِي نَحِيلٍ مِنَ الصَّمْتِ بَيْنَ رُؤَايَا وَأَجْفَانِهَا . . .
 بَيْتُهَا شَارِدٌ
 فِي قَطِيعِ الرِّيَّاحِ ، وَأَيَّامُهَا
 سَعَفٌ يَابِسٌ ،
 وَرَمَالٌ .
 مَنْ يَقُولُ لِيَزْنَبَ : عَيْنَايَ مَاءٌ
 وَوَجْهِي بَيْتٌ ، لَا حَزَانِهَا؟

6

قَطْرَةٌ مِنْ دَمٍ
 إِنَّهَا قَطْرَةُ الدَّمْعِ فِي جَوْفِ هَذَا الْمَسَاءِ
 حَمَلْتَنِي إِلَى صَدْرِهَا ، -
 صَدْرُهَا كُلُّ هَذَا الْقَضَاءِ .

7

ألمحُ الآنَ أحزانها
كالفراشاتِ ، تضربُ قِنديلها
حُرَّةً ، ذاهلةً
وأراها تُمزقُ مِنديلها ...

ألمحُ الآنَ أمي :
وجْهها حُفْرَةٌ ، ويداها
وردةٌ ذابِلَةٌ .

8

بين وقتٍ ووقتٍ ، أحسُّ كأنِّي غَيَّرِي
وأحسُّ كأنِّي دَمٌ يَتَدَفَّقُ - أَتَبِعُ خَيْطَ التَّدَفُّقِ ،
أَسْأَلُ : ما اسْمِي ؟
ولكي أَتَخَيَّلَ ما سَيَكُونُ ، أَتَخَيَّلُ أَنِّي أَصُمُّ بِلَادِي -
الحقولُ ، الجبالُ ، البيوتُ
وأقولُ : لكي أَتَيَقَّنَ أَنِّي نَفْسِي ،
لأُبَدَّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ .

9

زَهْرُ الْأَقْحُوَانِ
 لَا يَزَالُ يُغْنِي لِمَوْتِي ،
 وَيُؤَثِّرُ مَوْتِي لِبِلَالٍ
 لِيَكُونَ الْبِيَاضَ الَّذِي يَتَلَأَلُ فِي غُرَّةِ الْمَكَانِ .

10

شُهْبٌ تَتَسَاقَطُ مِنْ شُرَفَاتِ الْفَضَاءِ
 وَأَرَاهَا تَطُوفُ ، -
 إِذَنْ ، أَتَقَدَّمُ ، أَسْأَلُ عَنْ حَالِهَا
 وَأُحْيِي خَيَالَاتِهَا
 وَأَقْدَمَ جَسْمِي لَهَا
 وَالْغِبَارَ الَّذِي ضَمَّهُ وَالرِّدَاءَ .

11

أَعْطِنِي مَا تَرَسَّبَ فِي جَرَّةِ الْأَزْمَنَةِ
 أَعْطِنِي مَا تَرَسَّبَ فِي الرُّوحِ مِنْ تَعَبِ الْأَمَكِنَةِ
 أَعْطِنِي كُلَّ هَذِي الثُّمَالَةِ ،
 جَسَدِي طَافِحٌ بِسِوَاهُ .
 جَسَدِي كُلُّ بَيْتٍ
 وَالشُّوَارِعِ فِي شَرَايِينُ ، وَالْبَحْرِ نَبْضُ :
 هَذِهِ صُورَتِي
 وَأَنَا هَذِهِ الرِّسَالَةُ .

12

جَسَدٌ فَاضٍ عَنْ قَبْرِهِ :
 عَمَّرَ الْأَفْقَ دَاراً ، وَبِالشَّمْسِ حَصَّنَ أَسْوَارَهَا .
 وَيَقُولُ أَحِبَّاءُهُ :
 مُوْغِلٌ فِي مَدَارَاتِهِ
 يَتَهَجَّى الْحَقُولَ وَيَكْتُبُ أَزْهَارَهَا .

13

— هَلْ تَأَخَّيْتُ مَعَ صَوْتِهِ
وَتَنَوَّرَتْ أَغْوَارُهُ النَّائِيَةُ؟
— أَمْسِ ، كُنَّا مَعاً ، وَافْتَرَقْنَا :
نَجْمَةٌ مِنْ فِضَاءَاتِهِ
أَخَذَتْهُ إِلَى دَارِهَا الْعَالِيَةِ .

14

«كَانَ طِفْلاً مِنَ الْبَحْرِ ، طِفْلاً صَدِيقاً لَأُمُوجِهِ
جَسْمُهُ لُجَّةٌ
وَحُطَّاهُ الشَّوَاطِئُ مَفْتُوحَةٌ»

... إِنَّهَا آخِرُ الْأَغْنِيَاتِ
هَلْ سَمِعْتُمْ صِدَاَهَا
يَتَرَدَّدُ بَيْنَ الْحَقُولِ ، وَيَشْرُدُ فِي غَابَةِ الذِّكْرِيَّاتِ؟

15

لم تمت أمة :
شعرها ابيض ، لكن هذا اللهيب الذي
يتناسل في بيتها

يتناسل في شعرها ، -
أدخلتني من أول
عبر هذا اللهيب وعبر الرماد
في بهاء السواد .

16

أي عطر غريب؟ سألت النوافذ ،
لا ياسمين ولا ورد في بيتها ، -

إنه عطرها
طالع من خطاها على الرابية
حين كانت تودع أصغر أبنائها
وتشير إلى شمس الآتية .

كان في قبره
لابساً وجهَ طفلٍ ،
طفله كان يرسم في غرفة الخيال
صوراً للرجال .

لا تقول الأزقة في حيننا
كيف جاؤوا ، ومن أين؟ رملُ الرقاق
والزوايا وأسرارها
والتمردُ ، والخبزُ - تاريخهم .
لا تقول الأزقة غيرَ الفضاء الذي شاءه العناق
بين أحلامهم وخطاهم ، -
لا تقول الأزقة إلا الكلام الذي قاله الرفاق .

كَانَ مَيِّتاً ، يَدَاهُ
 مِثْلُ ظِلٍّ عَلَى وَجْهِهِ
 وَعَلَى وَجْهِهِ وَدَاعٌ .
 مَنْ يَقُولُ لَهُ الْآنَ : إِنِّي أَرَاهُ
 مُلِكاً مِنْ مُلُوكِ الْحَيَاةِ ، وَإِنِّي
 أَتَقَفِّي خُطَاهُ؟

سَائِرُونَ إِلَيْهِ ، —
 وَطَنًا يَتَوَهَّجُ بَيْنَ الْجَرَاحِ
 (الْجَرَاحُ مُصَابِيحُنَا)

سَائِرُونَ إِلَيْهِ
 عَاشِقِينَ ، سُكَارَى إِلَيْهِ
 نَتَقَرَّى ، نُقَلِّبُ أَحْشَاءَنَا...
 مَنْ يَقُولُ الرِّيحُ رَمَتْنَا
 خَلْفَ أَسْوَارِهِ؟
 أَلَرِّيحُ خُطَانَا إِلَيْهِ
 وَالرِّيحُ مِفَاتِيحُنَا .

21

لا تقولوا : قُتِلْتُ . ولا تَندُبُونِي
إِنَّ مَوْتِي قَمِيصٌ آخِرٌ أَرْتَدِيهِ ،
وَأَنَا وَالْفَضَاءُ
جَسَدٌ وَاحِدٌ
مِنْ هَوَاءٍ وَنَارٍ وَمَاءٍ .

22

لِي فِي كُلِّ بَيْتٍ
وَاحِدَةٌ وَسِرِيرٌ .
أَيْنَ جَسْمِي ، إِذْنَ ؟
- «أَخَذْتُهُ الْحَقُولُ»
لَمْ أَقُلْ / الزَّهْوُ ،
العصافيرُ كانت تقولُ .

هذه قريتي / قُرانا
مُعْجَمٌ لِلصُّوَرِ :

صورةُ الزَّلْزَلَةِ

صورةٌ لانحناءِ النجومِ على عَتَبَاتِ البيوتِ ،
وهي تزهر بأفلاكها ؛

صورةٌ مُثْقَلَةٌ

بشفاهِ تموتُ ، بأنشودةٍ لا تموتُ

صورةٌ لِلْقَمَرِ

يَتَعَشَّقُ شَمْسَ النَّخِيلِ

خَالِعاً ثَوْبَهُ

لِيَكْفُنَ فِيهِ الشَّهيدَ الجميلَ .

نَهْرُ الْجُرْحِ فَيُضْ :
 كُلَّ صَفْصَافِهِ
 أَذْرَعُ مِنْ ضِيَاءِ .
 وَالسَّمَاءُ الَّتِي تَتَمَرَّأَى
 فِي تَجَاعِيدِهِ ، غُصُونٌ -
 قَصَبٌ نَاحِلٌ يَتَمَوَّجُ فِي ضِفَّتَيْهِ
 وَأَنَا نَائِيهَا
 أَتَجَدَّدُ فِي مَائِهِ
 وَأَسَافِرُ مِنْهُ إِلَى .

أَشْعُرُ الْآنَ أَنِّي وُلِدْتُ التَّقَاءَ
 بَيْنَ هَذَا التُّرَابِ وَشَيْءٍ
 قِيلَ عَنْهُ : الشَّرُّ
 أَوْ عَمُودُ السَّمَاءِ ، الَّذِي يَتَرَاءَى
 فِي حِجَابٍ مِنَ الرُّغْدِ ، أَوْ يَتَقَمَّصُ خَيْطَ الْمَطَرِ .
 أَشْعُرُ الْآنَ : وَجْهِي خَدَّانِ - ضِدَّانِ ،
 خَدَّانِ - صِنَوَانِ ،
 خَدَّ الْفَضَاءِ وَخَدَّ الْحَجَرِ .

26

كان لي أن أشاهد صدر السماء
حين فكّ الجميل المحجّب أزرارها
ورمى ثوبها غطاءً
لسرير اللقاء .

(5 آذار ، 1985)

أغنية إلى لحظة ماضية

مرةً،
سألَ الله أعرابهُ أن يجيئوا إليه
فراهم
بَشْراً من حديدٍ ورملٍ
يحملون على جُمُجُمَةٍ
أَرْضَهُ المُسْلِمَةَ .

أغنية إله هذا الزمان

أحمدٌ ، مريمٌ ، كريمٌ
قرأوا ما يقول المكانُ وما يكتب المستحيلُ
وأَتوا للنَّخِيلِ يَهْزُونَ جذع النَّخِيلِ :
رُطَبٌ يابسٌ ،
والمكانُ
في الجنوب شمالٌ ، في الشمال جنوبٌ
والمكانُ كما خيلوا -
خيّلوا أنَّه السَّاقُ والجذْعُ ، واستشرفوا رياحاً
من جديدٍ تُلَقِّحُ هذا الزَّمانُ .

أغنية إله الزمن - الضد

لو تجرأتُ ، قلتُ : النجوم ، السماء وتاريخُها ،
الناسُ ، واللغةُ القائمةُ
جُثَّتْ عائمةُ

لو تجرأتُ ، سألتُ : مَنْ يُحرقُ الآن؟
ماذا يُسرّ ، بماذا يُجاهرُ؟ هل
قال؟ هل كان؟ هلاً؟

لو تجرأتُ ، غنيتُ للمدن الآفله
للرّماد المُدمى ، وللآلة الآكلة ،
ولأعلنتُ : هذي

تتناسلُ في جُتّةٍ ، وربّ
علّقتهُ الجريمةُ
فوق أقواسِها ، تميمة .

أغنية إلى الوقت

إنه الوقتُ ، وقت الحصار ، الذي لا يرى
غيرَ هذا الدّم المتنقل بين الشوارع ،
ملء البيوت الذي لا يرى
غيرَ هذا التفجّر في جسد لا يُرى ،
وأقول لوجه الجنوب : توجّهتُ
أنى توجّهتَ أتبعك ، تمضي
وأمضي إلى مثلما
وتقود خطايَ إلى كيفما
وتوجه ناري إلى ما يُزلزل ، يومئ لي . . . ربّما .

أغنية إلهي المعنى

ليس هذا زمانَ البداءِ ولا آخرَ الأزمنةِ
إنَّه نَهْرُ الجرحِ يدقُّ من صدرِ آدمَ ، -
معناه يُوغِلُ في الأرضِ ،
والشمسُ صورتُهُ المُعلنةُ .

أغنية إلهي زينب

حضنتُ زينبَ طفلها
تَتَنَوَّرُ سِرَّ اللقاءِ وعُرسَ اللقاءِ
بين تاريخها والبُكاءِ .

أغنية إله بضعة حروف

كان للميم أن يصنع القاف جسراً
ويعمر للواو بيتاً
من ضياءٍ وحبٍ
كانت التاء تربو وتعلو ، -
إنها اللغة الهادية
والقرى تتفتح ، والقلب يقرب من داره النائبة .

أغنية إله فاطمة

فاطمة
تُنزل القمر الساهر المتمرد من بُرجه
وتقود خطاه إلى بيتها
وتمدُّ له كي ينام رقيقاً لطفلتها النائمة .

أغنية إلى المائدة

للسداقة بيني وبين الجنوب ، وأحزانه العائده
كتب ، وثياب
نسجتها البيوت ، الرياح ، العناصر /
لا تهدم القاعده
ابتهج واقتحم
وادع مصباح هذي الدروب لكي
يرثس المائده .

أغنية إلى الاعتراف

أبتَهجُ واعترفُ
للجنوب ، لشمس الجنوب ، لنيرانِ
أحشائه المضمرة
والكلام الذي لا يُقال اعترافُ
وأقول الوصولُ قريبٌ قريبُ
وأرى قامة الموتِ محنيةً
وأقول التواريخ تزهو وتقطف أعشابها المُسكرة .

أغنية إله المسافات

نشوة / موجة بادئة
في شواطئ من لهفة ،
مرحباً ، يا ضياء المسافات ، لن أقطع الخيط
بيني وبينك ، أحزائك الدافئة
تسرب في خطواتي
مرحباً ، أيها الخطوات التي تتخاصر في كلماتي .

أغنية إلى اللغات

كلّ تلك اللغات - الشظايا ، خمائرُ
للمدن المقبلة
غيّروا بنيةَ الاسم والفعل والحرف ، قولوا
لم يعد بيننا حجابٌ
لم تعد بيننا سدودٌ ،
واشرحوا صدوركم
بالفواتح من سُورِ الرّغباتِ ،
وجنّاتها المقفلة .

أغنية إلهي أحمد ومريم وكريم

أحمدٌ ، مريمٌ ، كريمٌ
قمرُ السيّد الجنوبِ يزورُ بيوتاتهم
ويقبلُ أحجارَها ،
قمرُ السيّد الجنوبِ يعلّقُ فوق العرائشِ قفطانهُ
قمرُ السيّد الجنوبِ يكرّرُ ميثاقه
للحقولِ وأزهارها ،
ويصلّي صلاةَ الشروقِ على ورده الغروبِ
قمرُ السيّد الجنوبِ .

أغنية إله عاشق

النجومُ كمثل الثقوبُ
في فراش أحبائه - خطاهُ
شجراتٌ تمدُّ إلى البحر خدًا
والى جبلٍ يتوضأ بالبحر خدًا ،
وتمدُّ على الهاويه
جسرَ آفاقها ،
وأنا الروايةُ
أتحدّث عن عاشقٍ في الجنوب ،
وعن عاشق الجنوب .

أغنية إله ميت

دَمُهُ يَقْطُرُ الْآنَ مِنْ وَرْدَةِ الْفَضَاءِ
مِنْ حُرُوفِ النَّحَاسِ وَمِنْ كَلِمَاتِ الْحَدِيدِ ،
وَمَوْعِظَةِ الْكِيمِيَاءِ :
لَيْسَ مَوْتًا كَمَوْتِي كَمَوْتِكَ ، هَذَا
مَوْتُ أَوْهَامِنَا ، —
دَمُهُ الْآنَ سَجَادَةٌ لِلسَّمَاءِ .

أغنية إله هو

لم أقل يا أخي أنت ميتٌ
قلتُ تمضي ، وتعرف ماذا سيأتي
وانتهت خطواتك ، لكنّ ظلكَ مازالَ
يمتدُّ طفلاً اليدين ، تُرى أنتَ حيٌّ ،
وعيناكَ عيناَيَ ، والموتُ ما بيننا مرأيا ،
وأرى ما رأيتَ ، أترجم نفسي لنفسي :
أثرانا دمٌ واحدٌ؟
نتقاسمُ خبزَ الفجيعةِ والحبِّ ، خبزَ الحياةِ
غريبين ، مُستضعفينَ
وأنادي : أنا كربلاءُ الحنينِ ،
وتصرخُ : يا سيّدي الحسينُ .

أغنية إله الجرم

أحمد ، مريم ، كريم
نزل الموت في حيتهم
يتسقط أحلامهم
يتصيد آخر ما يتوالد في ماء أحلامهم ،
غير أنني أنا الرواية
سأقول لكم ما رأيت على الضفة الثانية :
كل يوم يُغنون للشمس كي تترجل عن سرجها
وتفيء إلى ظلهم ، -
عشقت قوس أهدابهم
عشقت كحلهم
عشقت لون حنائهم ،
وأراها
جمعت كل أعنابها ، ورمتها
قطرة قطرة في خوابيهم ،
وأقول - أنا الرواية :
هكذا ينسج الزمان خطاه بأشلائهم

وَيَمَهِّدُ أَشْلَاءَهُمْ

طُرُقًا لَخَطَاهُمْ :

إِنَّهُ اللَّعِبُ - الطُّفْلُ ، نَرُدُّ الرِّيحَ

وَلَهُمْ مَا يَلْقَحُ جَذَعُ الْمَسَاءِ بِنَسْغِ الصَّبَاحِ

وَلَهُمْ كُلُّ هَذِي الْحَقُولِ ، لَهُمْ كُلُّ هَذَا اللَّقَاحِ .

أغنية إلى فلام

خوذة؟

باطلٌ زعمكم

هذه آخر البرتقال الذي كان يسكن في حقله .

أغنية إلى ما تشاء

كل شيء يليق / ابتكر ما تشاء -

المضارع ماضٍ ،

والذي لم يكن كان ،

والغيبُ حسٌ ،

واضطرب مثل لُجٍّ

إنه الحب يكشف عن شمسك الغائره

في تجاعيدك النافره .

أغنية إلى الخيال

كان للعين أن تتصيد من غابة الخيال
كل ما خططوه وما اجتروه
ضد تلك الوحوش التي سُميت واقعاً ،
لم أكن شاهداً ، كنت أصغي
من بعيدٍ بعيدٍ ،
للصخور التي تتحدث عن أول الرجال ،
وعن آخر الرجال .

أغنية إلها الكتابة

بعد هذا وهذا وهذا
لا الشوارع ماتت ، ولا الموتُ تذوي
رياحينهُ
والغرائبُ ليست نقيضاً لما قُلتُ/
قلتُ الكآبةُ
دفترُ آخرُ للكتابة .

أغنية إله السرّ

أُتركوهُ لأسراره :

مرةً يُجلس البحرَ في حضنِه
مرةً ، تحت شُباكِه ،

اتركوهُ لأسراره :

يتقنّع بالعشب ، أو يتلبّس وجه الحجر
اتركوهُ لأسراره حَقْلَ حَبٍّ
يتحوّلُ في كلِّ فصلٍ
ويقلّبُ في راحتيه الشَّجَرُ .

أغنية ثانية إله هو

طوقوه بأهدابهم وأفأؤوا عليه
هو فيهم كروح ترفرف ، والحب
كالعرش ، والشمس مجمره في يديه
وحواليه ، تعلو أساطيرهم ، —
كيف ، أتى ومن أين أدخل في ذلك الزحام
وأنا لست إلا المحدث والراويه
لست إلا الصدى
يترصد في بابه النبوي — الصدى ،
واحتضار الكلام .

كان هذا الذي يتغطى
بالرماد (يغني
للرماد وأسراره
يتموج ، يعلو ...)
والذي نَتمرأى
في جراحاته ، ويُمرّثي
في عذاباتنا وجهه ،
والذي عاش في نَسَمٍ من حنينٍ ،
والذي قيل في مَدْحِهِ - التبغُ والبرتقالُ ، الجراحُ
وأشجارُها ،
الرفضُ والجامحونُ ، الذي لبستهُ النجومُ
لتدْفَأُ ، والريحُ كي لا تكون عقيماً ،
والذي حضنتهُ بساتينهُ
وقراهُ ، وفلاحهُ ، والطفولةُ ، والعاشقاتُ
وعشاقهنَّ ،
الذي جاء من عَمَمَاتِ الدروب ، وجاءت إليه

الدروبُ ،

الذي يُقرئ البحرَ ما كتبتهُ الحقولُ .

الذي قيلَ : إيقاعُهُ

نبضُ شطآنه ،

قيلَ : أحراشُهُ منجمٌ لأساطيره ،

والذي قيلَ : محراثُهُ

كي يفتقَ صدرَ الترابِ ، ويوكلُ للشمسِ

إكسيرةً ،

والذي كان يكمنُ للموتِ في وردةٍ ،

حين لا يتيسرُ أن يُجلسَ الموتَ في حضنِهِ ،

والذي لم يقل مرةً : يائسُ

والذي عاش في البردِ والحرِّ دهرًا

ليقلّمَ زيتونة

أو ليجنّي تفاحةً

كان هذا الذي جاء من عَتماتِ الدروبِ ، وجاءتْ إليه

الدروبُ

كان هذا الجنوبُ

سيداً ، جامعاً مثلَ موجٍ

صامتاً مثلَ صخرٍ ،

لم يَقْهَ مرةً باسمه ،

ألشمالَ اسمه

بعلبك وبيروت والأرز والفقراءُ اسمه ،

كاد أن يمّحي
خاشعاً في رداء التواضع ، كي لا يُقال : الجنوبُ
لم يسِر في بيان ولم يتوكأ على تورّيته
كل ما قاله هذه الأغنية :

«شجرُ البرتقال
مُثقلٌ بالقنابلِ والراصدين ،
فكيف سيهربُ هذا الدخيلُ ومن أين؟
لا منفذٌ في السهول ،
ولا عاصمٌ في الجبال» .

كان هذا الذي ينحني خاشعاً
للذين يموتون كي يفتحوا الدروب ،
كان هذا الذي كاد أن يمّحي
في رداء التواضع كي لا يُقال : الجنوبُ ،
كان هذا الجنوبُ .

(16 شباط ، 1985)

حالة غطاء

حينما تفتحُ الشمسُ مُخدَعَهَا للمساءُ
تتراءى النّوارِسُ منسوجةٌ غِطاءُ
فوق وجه السّماءِ .

حالة شيخوخة

كلّما قلتُ : شَيْخْتُ ، واستنفدتني الجراحُ ،
رَجَنِي عاصِفٌ ، وكساني
بتقاطيعه الصَّبَّاحُ .

حالة غيمة

غيمةٌ من كلامٍ
تتبخَّرُ من جثثِ الأنبياءِ
وتغطِّي الفضاءَ .

حالة لحظة

وُلدت لحظةٌ
من زواجِ المدينة والرقصِ ، زوّجتها
لفضائي ، وأعطيتها خاتمي ، —
كلّما ضاقتِ الأرضُ ، أيقظتها
وهي الآن في زهوٍ إيقاعها
وهي الآن تحيا معي .

طالة نبع

مَنْفِيْ هَذَا النَّبْعُ ، وَمَنْفَى
لِلظَّامِي هَذَا الْمَاءُ ، وَهَذَا الْمَجْرَى -
فِي الْكَلِمَاتِ وَفِي الْأَشْيَاءِ
أَيَخُونُ النَّبْعُ ، أَيْمَحُو
مَا يَكْتُبُهُ قِثَارُ الْمَاءِ ؟

طالة وردة

أَخَذَ الْمَوْتُ يَقْرُبُ ، يَهْبِطُ فِي الْمَاءِ ، يَلْتَهُمُ الْإِنِّيَّةُ
لَمْ تَجِدْ وَرْدَةَ الْإِنِّيَّةِ
غَيْرَ أَنْ تَنْحَنِي :
تَتَلَاشَى ، وَتُسَلِّمُ لِلْمَوْتِ أَوْرَاقَهَا الْحَانِيَّةُ .

حالة كرسيا

أطراف أربعة
لكن لا أعرف أيّهما
رجلاك ، وأيّهما
زنداك ، ويبقى
أن أشهد : أنتَ الأكثر صبراً
من أطراف الإنسان ، وأنتَ الأبقى .

حالة الصحراء / النرجس

للماء نايٌ كنت أسمعُه وأسمع شهوتي
لغةً تأخَّرَ وحيُّها
وتعجىءُ بين هنيهةٍ وهنيهةٍ
غَيَّرْتُ قافلتِي ، - الخليفة طينةُ / نَرْدٌ ، سألهو ،
بسريرتي وينرِّدها .
وأنا الذي ولدته صحراءُ / أيائلُ حلمه
مكسوةٌ بنخيلها
وسُدَى لعبتُ النردَ مع قَمَرٍ ، وطفْتُ على بساطٍ
من سندسٍ ،
وسُدَى أملتُ بما يقول غرابٌ ظَنِّي ،
أو بما يَعِدُّ الخرابُ
يا شعْرُ ، يا حوذَيْنَا المجنون خُذْنِي /
خُذْنَا لنسبقَ موتَنَا
لِنَرَى ، لنكُتِبَ ما سيأتي
ونكونَ فاتحةَ الكتابِ .
صحراءُ - أمُّ

وأنا الشهادة ، ضائعاً
يهذي كمن يمشي على
أشلائه
يمشي ويرتجل الفضاء .
وأنا الشهادة ، أرضنا
طمست
لكثرة ما تراكم فوقها
من أنبياء .

صحراء - سر :
هذا هو السرّ المبين ،
سحابة
تلقي عباءتها عليّ ، حفيظها
لغة لنجوم الآفله ، -
تية ، وقافلة تضيع قافله .

صحراء - تلمسني حصاة : أنت أنت ،
والمس الرمل الصديق : أنت أنت ؟
شرارك التهم الشرارا ،
صحراء - تحمل نخلة
نجماً ، وتحمل ناقة

قمرأ ، وتبتكر الصحارى ،

صحراء - نرجسها يغوص ، يعوم في تيه المرايا
متكسراً :

صوراً يراقصها ويبكيها ويرسم وجهه
فيها ، يُفتَّت بعضه بعضاً ،
يُجنُّ بهذه الصور - الشظايا

نَسَجَ النهارَ بليله
حلماً أحبُّ لكى يُضيءَ ، لكى يموتَ / ونرجسُ
هذي البقايا

لا ، ليس نرجس غير طيفٍ
لا ، ليس هذا الطيفُ غير بكائه
صحراء تلتهمُ الفضاءَ ، وليس نرجس غير قَبْرِ ، -

هوذا أراه ، كما روت أحلامه
نسيَ الطريقَ إلى سُلَافَةِ مائه ، نسيَ الكلاما ،
هوذا أراه متوجاً بِسِرايه
أعطى لأطراف السَّماءِ يديه ، مِن تَعَبٍ ، وناما .

الولد الراكض في الذاكرة

قَوْسُ رَيْحَانٍ عَرِيشٌ مِنْ حَمَامٍ
وَالشَّبَابِيكُ رَمَتْ أَبْوَابَهَا
لَيْدِ الرِّيحِ / الْحَقُولُ
قَرْيَةٌ مِنْ سَعَفِ النَّخْلِ وَمِنْ حَبْرِ الْفُصُولِ .

غَضَبُ الرُّعْدِ وَلُطْفُ الْغَيْمِ فِيهَا رَبِّيَانِي
قَرْيَةٌ نَسْهَرُ فِي سِرِّوَالِهَا
وَيَبْوُحُ التَّيْنِ وَالتَّوْتِ بِمَا تَخْجَلُ مِنْهُ الشَّفَتَانِ .

فِي أَعَالِي شَجَرِ النَّخْلِ نَمَتْ ذَاكِرْتِي
هَذَا السَّمَاقُ نَجْنِيهِ وَهِيَئَانَا الْبَقُولُ
وَنَقُولُ التَّابِلُ الطَّيِّبُ لَنْ يَنْقُصَنَا هَذَا الْعَشِيَّةُ
هَذَا يَحْتَضِنُ النَّسْرِينَ طِفْلُ
كِي يَرْدُ الْوَرْدُ لِلْوَرْدِ التَّحِيَّةُ .
فِي أَعَالِي شَجَرِ النَّخْلِ نَمَتْ ذَاكِرْتِي

إنه التّرجسُ يأتي حافياً
ما الذي يشغله
والرفيقُ العشب يعطيني ذراعيه وأعطيه قميصي
وتغطينا يدا زيتونة
لي في دفترَي الأخضر شُبّاك وفي الأزرق وعْد
لي في محفظة الشّمس كتاب...

في أعالي شجر النّخل نمت ذاكرتي
نبع صَفْصافٍ ، بُكاء
أُتري أسمع للجنّ عزيفاً
أم هي الأغصانُ موسيقى؟ ترنّم
أيها الصّفْصافُ وامنحني أن أصغي إليك
أن أرى وجهي مرسوماً عليك
هاجساً يقرأ صوتَ الماء في صمت الحجر
ودماً يكتب/ في أوراقه
مطرٌ يمشطُ أغصانَ الشّجر .

هبطتُ ذاكرتي
من أعالي شجر النّخل / سلاماً
للصّديق الولد الرّاكض في ذاكرتي
لم يَزُرني اليومَ لم يؤمئ إليّ

مثلما عوّدني - أسلمت وجهي
لمراياه : من الضائع منا؟
ومن الصّامت والناطق؟ غامت
شفتاه - أثره ساكن في شفتي؟

أيهذا الولد الرّاكض في ذاكرتي
جرّحي النّازف يستعصي ولكن
جسدي ينمو ويزهو
فأنا والبحر في الموت سواء
وأنا قبّرة الحزن أنا ذئب الفرح
أيها الطّالع من هذا الفضاء
أنت جرح آخر ينزف أم قوس قزح؟

هبطت ذاكرتي
من أعالي شجر النّخل / سلاماً
يا شبيهي الولد الرّاسب في ذاكرتي
أنت من يجمع في نبضي أم أنت الحريق؟
وسلاماً أيها الطّيف الصّديق
عشت محمولاً على نردٍ وسميت القمر
فرساً حيناً وحيناً فارساً
كانت الشمس توأخيك وتبني

معك البيت الذي تبنيه من قش وتلهو
بالحصي مثلك/ لو تعطيني الآن يدك ...
وسلاماً

أيهذا الشجر المائل في ذاكرتي
أنا نطقك أم صمتك أو ما تنقل الريح إليك
من غبار الشجر الآخر؟ لو تعطيني الآن يدك
لو يقول الأفق الساهر في ليل رؤاك الساهر
ما الذي تمخض في غابة أيامي رياح الذاكرة ...

في أعالي شجر النخل نمت ذاكرتي
لم أكن أعرف أن الجسد العاشق مرسوم بمنقار سنونو
لم أكن أعرف أن الحب لا يعرفه إلا الجنون

لمن النجمة تُرخي شعرها
وتلاقيها إلى البئدر أفراس التعب
بين عينيها طريق ويداها
خيمة ...

حقاً؟ خذيني
... / حوض أحزان وماء الليل / غصنا
واقسمنا قمر الماء ، يقيناً
تحلم النجمة أن تسكن بيتاً من قصب .

(بيروت ، أيار ، 1982)

لِمَلَائِكَ مِنْ فِضَّةٍ وَرِصَاصٍ
لِرِّمَالٍ تَجْرُ جَلَابِيْبَهَا الذَّهَبِيَّةُ
تَتَهَاوَى وَتَنْشَجُ فِي قَفْصِ الْأُبْجَدِيَّةِ ، —

— إِنَّهَا أَرْضُهُ الرَّثَّةُ النَّازِفَةُ
مِثْلَمَا يَفْقِدُ النَّهْرُ مَجْرَاهُ ، وَالْبَرْقُ
شَعْلَتَهُ الْخَاطِفَةَ
وَأَرَاهَا تَنَامُ

غَيْرَ أَنِّي أَوَاجُهُ هَذِي الصُّحَارَى كَأَنِّي فَجَرُ الْكَلَامِ
وَأَقُولُ بِلَا دَهْشَةٍ
زَمَنُ شَهْوَةٍ وَأَرَامِلُ مِنْ مَعْدِنِ
وَالْمَكَانُ انْشِقَاقُ

— دَائِمًا كَانَ هَذَا الْمَكَانُ انْشِقَاقًا
وِخْرَاطَ مَنْ طُحِلِبَ وَغُبَارِ ،
دَائِمًا كَانَ هَذَا الْمَكَانُ

يَتَكَسَّرُ فِي قَبْضَتَيْنِ
مِنْ حَصَارٍ وَفَتْكَ ...

غَيْرَ أَنِّي أُوَاجِهَ هَذَا الْمَتَاهُ كَأَنِّي فَجَرُ الْكَلَامِ
وَأَقُولُ بِلَا دَهْشَةٍ
ظَهَرَتْ نَجْمَةٌ أَكَلَتْهَا
نَمْلَةٌ
وَأُكْرِرُ أَنَّ الدِّخَانَ
عُرْسٌ لِلرِّيَّاحِ - أَقْبَلِي مَا تَبَقِيَ
مِنْ دَمِي : وَرَدَتَيْنِ -
قَلْقِي وَحَنِينِي
وَأَنْسَجِي يَا رِيَّاحُ مَنَادِيكَ الْخَفِيَّةَ
مِنْهُمَا ، وَلَتَكُنْ بِأَسْمَانَا تَحِيَّةَ
لِلرَّحِيلِ وَأَطْلَالِهِ الْعَرَبِيَّةِ .

وَأَقُولُ بِلَا دَهْشَةٍ
وَطَنٌ بَعْضُ ظَنٍّ ، وَهُوَ الْآنَ ...

- لَا تَتَفَوَّهْ

أَتَرَى ضَلَّلْتُكَ الرَّؤْيَى أَمْ جُنُنْتُ؟

وَهُوَ الْآنَ مَقْبَرَةٌ : شُرْطِي

مِنْ حَدِيدٍ ، وَوَادٌّ ، وَمِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟

لوعبرتَ هنا أو هناك الحدودَ
ورأيتَ الذين يتوقونَ للنورِ يُطَوِّنونَ طيِّ الثيابِ ويُرْمَوْنَ في
دَرَكَاتِ الظلامِ

لَتَمَنِّيْتَ أَلَّا يَعُودَ الكلامُ
غيرَ هَدمٍ وناهِ
ولَمَزَقْتَ هَذي الخرائطَ هَذي البنودَ
ولَجَدَقْتَ مثلي
وطَنَ بعضُ ظَنٍّ . . .
وأقولُ بلا دهشةٍ

أَلَمَلايينَ خضرَاءَ والصَّوتَ منها ومنها الصَّدى
وأنا ذِئْبُ هذا المدي
وحديَ الهالكِ المتخبطُ لا كوكبٌ لا هُدى
ضائعٌ بينَ حَقْلٍ وحَقْلٍ
أتقرِّى عروقَ النباتِ وأسألُ عن زَهْرَةٍ أختها

وأقولُ بلا دهشةٍ
واتني يا زمانَ التَّعبِ
صِرتُ أهوىَ الجلوسِ إلى صَخْرَةٍ المستحيلِ
مثلَ طِفْلِ يَحِبُّ الرِّحيلَ
في الفضاءِ على صَهْوَةٍ مِن قَصَبٍ .

— لا تقولوا : هروبٌ ويأسٌ
تَهْرَبُ الرِّيحُ كي تحضنَ الأرضَ
واليأسُ يفتحُ أبوابَه الملكِيَّةَ
لا انفجارِ المداراتِ ، قولوا : نذيرٌ
واسمعوا الشَّاهدَ المُغْطَى
بجدوعِ النخيلِ
واقرأوا الشَّاهدَ المُدَوَّنَ بالتَّمْرِ والزَّنجَبِيلِ
في صحائفِ إِسْتَبْرَقٍ ...
وأقولُ بلا دهشةٍ للندى
هل رأيتَ المكانَ خبرتَ الحقولَ
بَشَرٌ هؤلاء الذين يُغْطَوْنَها أم بُقُولُ؟
هكذا أتجرأ أن أعشقَ الندى
وأُغْنِيه ، — يَجْري كأنَّ السَّحَرِ
ضِفَّتاه
ويَفْضُ حَقَائِبُهُ كالرَّسَائِلِ بين غصونِ الشُّجَرِ
ما الذي حملتهُ يدَاكَ؟ لِمَن يكتبُ الأفقُ أسرارَهُ؟
والطَّرِيقُ الذي يَتَطَاوَلُ في ضِفَّتَيْكَ — دَمٌ آخَرٌ ،
أم بريقٌ يَغَامِرُ ، أم شاعرٌ يُحْتَضِرُ؟

وأقول بلا دهشة
عَجَبِي أَنِّي لم أَشِخْ

عَجِبِي أَنْ هَذَا الْحَطَامُ
لَمْ يَزِدْنِي إِلَّا بَهَاءً ، -
- هي ذي وَرْدَةٌ تَتَشَهَّى
بين أَحْضَانِهِ
- هي ذي تَتَوَهَّجُ نِيرَانُهُ الْمُطْفَأَةُ

وَأَنَا لَأَنْ طِفْلٌ كَانَ الْقَمَرُ
بِهَرٍّ هِيَ الْخَطَايَا / بِبَابِ الْهَاءِ أَقُولُ
لِي هَوَايَ وَلِي سَكْرَةٌ لَا تَزُولُ
وَالْحُرُوفُ نِسَاءً تُوشِوْشِنِي مَا تُحِبُّ وَأَمْنَحُهَا شَطَحَاتِي
وَنَقِيًّا مِنَ الْوَهْمِ أَجْهَرُ هَذِي حَيَاتِي
شَرَّرَ وَخَيُولَ مِنَ الضُّوْءِ تَفْلِتُ مِنْ عَرَبَاتِ الصُّوْرِ .

الفهرست

13	قصائد أولى (1955-1949)
15	قالت الأرض
35	قصائد إلى الموت
45	أغنيات الحب
51	حدود اليأس
61	قصائد لا تنتهي
97	أوراق في الريح (1960-1955)
99	أوراق في الريح
117	قصيدة إلى الغربية
120	من الذاكرة
122	كلمات لليأس
123	الأطفال
128	مزامير الإله الضائع
132	القافلة
133	ظل

135

أغاني مهيار الدمشقي
(1961-1960)

141

فارس الكلمات الغربية

165

ساحر الغبار

213

الإله الميت

241

لرم ذات العماد

267

الزمان الصغير

289

طرف العالم

305

الموت المعاد

315

كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل
(1965)

317

زهرة الكيمياء

318

الدهشة الأسيرة

319

شجرة النهار والليل

320

كنيسة النهار

321

شجرة الشرق

322

الإشارة

323

شجرة الحنايا

324

شجرة النار

325

شجرة الصباح

327

غابة السحر

328

شجرة الأهداب

329

شجرة الكآبة

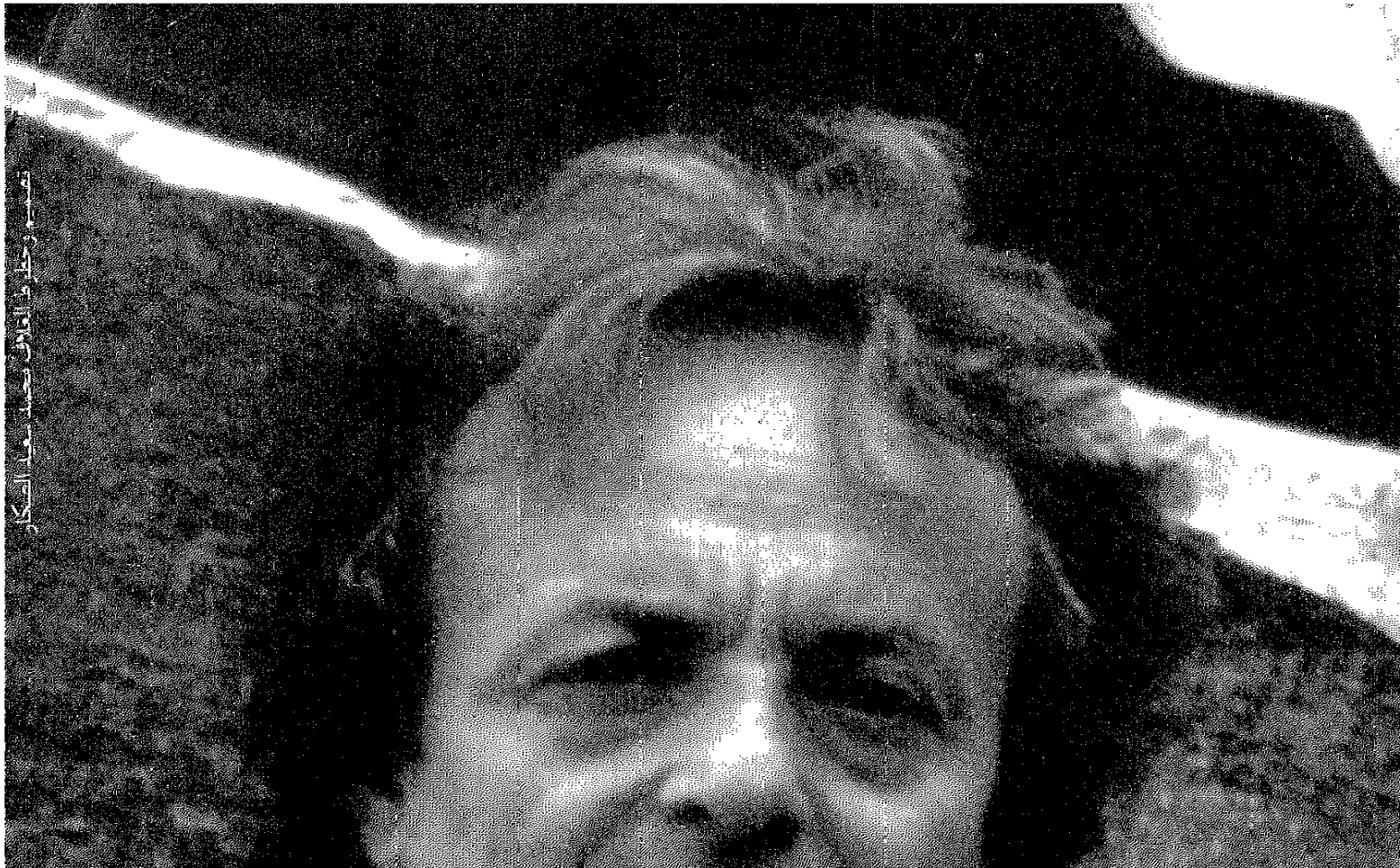
330

اقليم البراعم

331	المسرح والمرايا (1968)
333	كلمات
337	لون الماء
339	الزمن المكسور
350	حزمة القصب
355	أربع أغنيات لحزمة القصب
361	تيمور ومهيار
365	أربع أغنيات لتيمور
371	مرايا وأحلام حول الزمن المكسور
403	الممثل المستور
413	مرايا للممثل المستور
437	وجه البحر
469	كتاب المطابقات والأوائل (1979)
497	الأوائل
541	كتاب الحصار (1985-1982)
543	صحراء I
552	صحراء II
566	أشخاص
575	رسائل
579	هذا ما كتبه محمد بن عيسى الصيداني قبيل موته
597	أغنيات
620	الاسم
623	حالات

الولد الراكض في الذاكرة
شطح

632
636



تصميم: د. خالد محمد عبد الحليم

Thanks to
assayyad@maktoob.com

To: www.al-mostafa.com